الأسرة المسلمة

ومواجهة التحديات المعاصرة

إعداد

عبد الله بن محمد بن حمد العميريني

٤ / ٢١٠
٤٤ م

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

الأسرة المسلمة ومواجهة التحديات المعاصرة

إعداد
عبد الله بن محمد بن حمد العميريني
قاضي محكمة محافظة الأسياح بالقصيم

ⓗ عبد الله محمد العميريني ، ١٤٢٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العميريني ، عبد الله محمد

الأسرة المسلمة ومواجهة التحديات المعاصرة . / عبدالله محمد العميريني

.- الرياض، ١٤٢٤ هـ

١٤٤ ص، ١٧X٢٤ سم

ردمك : ٧ ـ ٨٣١ ـ ١٠ ـ ٩٩٦٠

١ ـ الأسرة في الإسلام أ. العنوان

ديوي ٢١٩,١ ١٤٢٤/٥٢١٤

رقم الإيداع : ١٤٢٤/٥٢١٤

ردمك : ٧ ـ ٨٣١ ـ ١٠ ـ ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م

لمراسلة المؤلف

على

ص.ب ٣٦٧٨ بريدة ـ القصيم

البريد الالكتروني omaireeni@ayna.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله العليِّ الأعلىٰ، الذي خلق فسوَّىٰ، والذي قدَّر فهدىٰ، والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان علىٰ نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، والمبعوث رحمةً وهدايةً للناس أجمعين فأكمل به الدِّين وأتمَّ النعمة علىٰ عباده المؤمنين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد اهتمَّ الإسلام بالحياة الأسرية اهتمامًا عظيمًا، وسمىٰ الله عقد الزواج الذي يجمع بين الرجل والمرأة بالميثاق الغليظ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: ٢١] وهذا لأن صلاح الأسرة المسلمة يؤدي إلىٰ مجتمع صالح، وفسادها يؤدي إلىٰ فساد المجتمع.

وقد أرسل الله نبيه محمداً ﷺ بعدما بَعُدَتِ الشُّقَّةُ بين واقع الناس وهدي الله سبحانه وتعالىٰ، فأصيب العالَمُ بسيلٍ جارف من الظلم، والجهل، والفساد، فليس من نظام يهدي إلىٰ الحق، ولا قانون عادل يرتكز إليه البشر، ولا وازع أو رادع يكفُّ سَدَنَةَ الباطل عن التمادي في الغي والطغيان، فالعالَمُ: ﴿ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ

سحابٌ ظلماتٌ بعضها فوق بعضٍ إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعلِ اللَّهُ له نورًا فما له من نورٍ﴾ [النور : ٤٠].

وجاء رسول الله ﷺ ليخرجَ الناسُ من ظلمات الجاهلية والشك إلى نور اليقين والإسلام، ومكث ثلاثًا وعشرين سنة يدعو إلى توحيد الله عز وجل، والإيمان برسالته واليوم الآخر، ويربي النفوس تربيةً صادقةً عميقةً بالقرآن الكريم وهديه الرباني، وبالسنة النبوية وسلوكها القويم، لتسموَ الأرواحُ، وتتخلَّص القلوبُ من الآثام والشرور، ويتحرَّر البشرُ من سلطان الماديات والشهوات، ومن ثم يُبنى المجتمعُ الصالح بنفوسٍ جديدة، يخشع فيها الفؤادُ لخالق السماء والأرض، وتعنو الوجوه لمبدع الكون والحياة والأحياء.

ولاشك أن هناك تحديات تعاني منها الأسرة المسلمة في المجتمع المعاصر، إذ يحاول أعداءُ الدين النيلَ من الأسرة المسلمة، وتحطيم ثوابت الأسرة وجَعْل الواقع مريراً، عبر الغزو الفكري، الذي لم يهدأ منذ انطلاقته، يناصب الأسرة المسلمة العداء، بطرح مفاهيم مشوِّشة، وأفكار مضلّله، كفكرة المساواة بين الرجل والمرأة، وعدم الاقتصار على الشكل المعروف للأسرة المكوَّن من رجل وامرأة وأطفال، فقد خرج «مؤتمر بكين» ـ مثلاً ـ يتحدث عن حق المرأة والرجل في اختيار أسلوب الإنجاب الملائم، سواء أكان بالتلقيح الصناعي أم بتأجير الأرحام، أم بغير هذه الوسائل، مما يعارض الشرع الحنيف، ويضاد المنهج الإسلامي عن تكوين الأسرة المسلمة.

وأمام التحديات المثارة ضد الأسرة المسلمة، كان هذا البحث بناءً وتوجيهًا، وإرشادًا وتوضيحًا للحقائق الإسلامية عن الأسرة المسلمة، ووظائفها، وأهدافها، وقواعد تنظيم بنائها، وإبراز الدور الحضاري، الذي تضطلع به لبناء الفرد، وإشادة صرح المجتمع الإسلامي.

هذا ما أردت التنبيه عليه في هذه المقدمة، فإن نجح مسعايا، فذلك توفيق من الله جل وعلا، وإن ندّت هفوات، فكلُّ بني آدم خطاء، وخير الخطّائين التوابون، ورحم الله امرأً قرأ فأرشد، ونصح بحقّ، فأهدى العثرات إلى أصحابها، وقلبه يدعو بالفلاح والسداد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

كتب ذلك

عبد الله بن محمد بن حمد العميريني

قاضي محكمة محافظة الأسياح بالقصيم

---

omaireeni@ayna.com

تعريفات لابد منها

أولاً: معنى التحدي:

هو الشعور بالإمكانات البشرية أو المادية أو الفكرية والتي تدفع صاحبها لمنازلة خصمه إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، لإثبات قوته على خصمه.

ثانيًا: الأسرة:

الأسرة هي التي تتكون من ثلاثة عناصر رئيسة هي: الأب، والأم، والأبناء.

ثالثًا: الأسرة المسلمة:

فهناك فرق بين الأسرة المسلمة وغيرها، فالأسرة المسلمة هي التي تحاول بكل ما تستطيع أن تصبغ حياتها بالصبغة الإسلامية، وأن تعيش حياة إسلامية كاملة، خالية من تأثيرات الجاهلية الداخلية والخارجية.

الفصل الأول

المبحث الأول: أهمية الأسرة وقيمتها في المجتمع

حدَّد الإسلام مكانة الأسرة، وأشار إلى أنها قاعدة التكوين الأولى لبني الإنسان، فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

فقاعدةُ الحياة البشرية هي الأسرة، فقد شاءت إرادةُ الله عز وجل أن تبدأ نبتةُ الحياة، وتنمو انطلاقًا من رحاب الأسرة، فَخَلَقَ ـ سبحانه ـ النفسَ الواحدة، وخلق منها زوجها، فكانت الأسرةُ من زوجين، ثم انبثت الأُسَر، وقام المجتمعُ الإنساني.

واتجهت عنايةُ الله تعالى لإقامة الأُسَر، وتعزيز البيوت، ولنقرأ ذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

كما تحدَّث القرآنُ الكريم عن جاذبية الفطرة بين الذكر والأنثى، فقال تباركتْ أسماؤه: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وقال عز وجل: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

كما جَعَلَ تعالى البيوتَ موضعًا للسكن، يطمئن فيه المرءُ، ويأوي إليه، ويُقيم نظامَ الأسرة المتكامل، قال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ

سَكَنًا﴾ [النحل: ٨٠]. فاللقاء بين الزوجين يُؤسِّس الذرية الطيبة، ويُنبت الغراس اليانعة؛ بموجب سُنن الفطرة، حيث يُلبِّي قيامُ الأسرة تلك الفطرة العميقة في الكون والإنسان، فتقوم الأسرةُ نظامًا طبيعيًا منبثقًا من أصل التكوين، وفق معطيات خاصة، تتولى ربط الأسرة بخالق الكون، وبالنظام الذي أقامه الخالق للجنس الإنساني.

وعلى هذا تُعتبر الأسرةُ المحضنَ الطبيعي للأطفال الناشئين، حيث تقوم برعاية الأبناء، وتنمية مداركهم، وتنشئة عقولهم تنشئة صالحة، مع العناية بالأجسام وتغذية الأرواح.

أما الرأفةُ، والشفقة، والعطف، والحب، والرحمة، والتكافل، فعناوين بارزة، ولافتات مقروءة في محيط الأسرة، تطبع الجوَّ العام، وتُلازمه مدى الحياة، حيث يتفتح الأطفال، ويتعاملون وَفْق مفاهيم الإسلام، وقيمه، ومُثُله، فتكون فترةُ الطفولة مرحلة إعداد، وتربية، وتدريب، وتهيُّؤ لما يُطلب من الإنسان في ميدان التعامل والتعاون مع الكون والأشياء والأحياء.

ومن هنا نركِّز على دور الأسرة، وضرورة أن تكون مستقرة، وتحافظ على هدوئها، وتلتزم الفطرة، وترنو ببصرها لإعداد الجيل، وتكوينه؛ ليأخذ دورَه الإيجابي في هذه الحياة.

ولا يستطيع أيُّ محضن آخر غير الأسرة أن يُلبِّي حاجات الطفل، ويجعله يشبّ، ويتربّى نفسيًا وفطريًا على وجه الخصوص؛ إذ تقوم الأم بدورٍ رائد في هذا المضمار، لا يستطيع أيُّ جهاز ـ مهما أوتي من عدَّة ومستلزمات ـ أن يُعوِّض الطفل، أو يكون بديلاً عن حضن الأم ودورها البنَّاء.

فالمحاضنُ الجماعية لا يمكن أن تُعوِّض الطفل عما فقده بعيداً عن أسرته؛ ففي ذلك شرود عن الفطرة، ونأي جامح عن النظام الأُسري، حيث يتركُ بعض المسلمين، أو كثير منهم؛ أولادهم بعيداً عن رعايتهم وأنظارهم، ويظنون أن الآخرين سيقومون بالتعويض عن دور الأم في التربية والإعداد، وخاب ظنهم؛ إذ حُرم الأطفالُ من حنان الأهل، والاهتمام بشؤونه في ظل أسرته؛ مما جعل نتائج الحضارة السلبية ترخي بثقلها، وتُشدد وطأتها، فإذا بالطفل ينشأ ذا تكوين نفسي متقلب، ويعاني من اضطرابات سلوكية متعددة، إلى جانب العقد والتوترات، نتيجة الانحراف عن فطرة الله، والتضحية بالأطفال مقابل الحفاظ على العمل والوظيفة خارج المنزل، فماذا جنى العالمُ من هذا السُّعار والجحود والفساد؟!

إن الأسرةَ في الإسلام متماسكة، متراصَّة، متعاونة، متكاتفة، تعتبر الطفل نعمة من عند الله، فمن الواجب القيام بحق رعايته، وتوظيف الجهد لإعالته، وزَرْع القيم الفاضلة في نفسه، وتوجيهه التوجيه السليم؛ باعتباره أعزَّ رصيد لدى الأسرة، وأغلى ذخيرة في هذه الحياة.

ولا يمكن تجاهلُ نظام الأسرة القائم على الثبات، والدقة، والواقع، والاستقرار، وكلُّ استنكاف عن هذه الحقائق يضرُّ بالحياة، ويُعمِّق الهوَّة بين التربية والفطرة، ويوسِّع الشقة بينهما، ويحرم الأطفالَ من حقهم في العيش بين ذراعي الأم وعناية الأب تحت ظلال سقف واحد.

ومن هنا عني الإسلامُ بالأسرة، وعزَّز الترابطَ بين أفرادها، وسعى لرأب الصدع، ولمِّ الشمل، وتنحية كل شبهة ودَخَل، وتقوية أسباب

السلامة، وتأكيد ثوابت القوة والأساس؛ ليقوم بناء الأسرة الواحد، والمجتمع النظيف المتماسك.

إن عنايةَ الإسلام بالأسرة عنايةٌ فائقة لا تُضارَع، ولا يُتصوَّر معها أي عناية أخرى، بل لا يقوى أي أمر آخر على الوقوف إزاء تلك العناية، ومواجهة ذاك المنهج، فبناءُ الأسرة في الإسلام يقوم على البناء في محيط الجماعة، وتنظيم ذلك البناء تنظيمًا جيدًا مستقرًا، حيث يقوم كل فرد في الأسرة بأداء دوره المنوط به؛ على أساسٍ ثابتٍ من موحيات الفطرة، وحمايتها من التداخلات والملابسات، وصونها من الوقوع في حمأة الفاحشة، والمعاصي، ووهن الروابط والعلائق.

إنَّ نظام الأسرة في الإسلام يتمتع بخصال خاصة، يمكن تلخيصها في نقطتين اثنتين:

١ ـ هو نظام رباني، يتحدَّد بمقومات المنهج الإلهي، فالأسرة في الإسلام تُشكِّل مجتمعًا مستقيمًا عفيفًا، يحافظ على أمانة الله تعالى في الأرض، ويبني تفرُّعات المنهج باقتدار واندفاع وتلقائية، مع بذل كل جهد مستطاع، ومقاومة الانحراف مهما بدا واسعًا وقويًا.

ويبدأ نظامُ الأسرة في الإسلام بتربية الفرد، وبناء الجماعة، من خلال الواقع المعاش، حيث يتم الترابط بين المؤسسة الأسرية والمنهج الإلهي في الإعداد والتربية، فيدرك كل فردٍ ماله وما عليه من حقوق وواجبات، فيسعى جاهدًا لتجسيدها، وتقرير قواعدها التنظيمية في مجراها الطبيعي الفطري؛ حمايةً لجوِّ الأسرة، وصونًا للحياة الزوجية، ورعايةً لتربية الأبناء التربية الصالحة، وإبعادهم عن كل فساد وانحراف وضلال.

ومن مظاهر ربانية النظام الأسري في الإسلام، أنه ليس مُجرَّد أحكام وتكاليف، بل هو إشاعةُ لجوٍّ خاص، حيث يُوصَل كل فردٍ في الأسرة بالخالق المولى، وتنبثق أعماله، وتترسَّخ قواعد أفعاله وَفْق قواعد المنهج الإلهي للحياة البشرية بأسرها، فالإنسان موصولٌ بالثواب والعقاب، وبعناية الله ورقابته؛ لإقامة الحياة على النحو الذي يُرضي الله عز وجل، ويجعل الأسرة المسلمة تنشأ وتُعدّ للدور العظيم المقدَّر لها في هذا الوجود.

(٢) وهو نظام يتماشى مع الفطرة الإنسانية، فهو نظام طبيعي، طاهر من الفوضى والشرود والتعسف؛ فهو يحقق جاذبية الفطرة بين الجنسين الذكر والأنثى، فتعمل الفطرةُ على إيجاد المودة والرحمة، وإقامة البيوت على مقومات ثابتة، ورؤى واضحة، وقواعد أساسية، تحمي الذرية، وتتعامل مع الحياة معاملة طيبة، على هدي مستقيم، ونور ينطبع مدى الحياة في أضخم دور يُنفِّذه الإنسان، ألا وهو التربية وحُسْن الإعداد لمستقبل الأيام، وفائدة الأمة.

ويرسم التعبيرُ القرآني بلطافةٍ شفَّافة، ورقَّة هفهافة؛ تصويراً موحيًا للعلاقة بين الرجل والمرأة في الأسرة، ويؤكد أن الصلة بينهما سكنٌ للنفس، وهدوءٌ للأعصاب، وأن العواطف تمتاز بالدوام والتوقد، راحةٌ للروح، وتهدئة للفؤاد، واستقراراً للحياة برمَّتها، وأنسًا للضمير، وبثًا للطمأنينة في الحياة الزوجية. قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

«فمن حكمة[1] الخالق عز وجل أنه خلق كلا من الجنسين على نحوٍ

(١) دستور الأسرة، لأحمد فائز، ص٥٨.

يجعله موافقًا للطرف الآخر، ومليبًا دائمًا لحاجاته الفطرية؛ النفسية والعقلية والجسدية، بحيث يجد عنده الراحة المستمرة، والطمأنينة العميقة، والاستقراء الثابت، فيجد كلٌّ من الزوجين في اجتماعهما ضمن الأسرة: السكن، والاكتفاء، والمودة، والرحمة؛ لأنَّ تركيبهما النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ فيه تلبية رغائب كلٍّ منهما في الآخر، وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية؛ لإنشاء حياة تتمثل في جيل جديد، فالمرأة من نفس الرجل، ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾.

إنها الفطرة التي فطر الله الناسَ عليها ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، فهي نفسٌ واحدة في طبيعة تكوينها، وإن اختلفت وظيفتها بين الذكر والأنثى، وإنما هذا الاختلاف ليسكن الزوجُ إلى زوجه، ويستريح إليها. وهذه هي نظرةُ الإسلام لحقيقة الإنسان، ووظيفة الزوجية في تكوينه.

والأصلُ في التقاء الزوجين هو السكن، والاطمئنان، والأنس، والاستقرار؛ ليظلِّل السكونُ والأمنُ جوَّ المحضن الذي تنمو فيه الفراخ الزغب، وينتج فيه المحصول البشري الثمين، ويؤهّل فيه الجيل الناشيء لحمل تراث التمدن البشري، والإضافة إليه، ولم يجعل هذا الالتقاء لمجرَّد اللذة العابرة، والنزوة العارضة، كما أنه لم يجعله شقاقًا ونزاعًا، وتعارضًا بين الاختصاصات والوظائف، أو تكرارًا لها.

ولما كانت النفسُ الإنسانية واحدة في طبيعتها، وخصائصها، وتميزها، فإن أفضل لقاء يجتمع فيه الرجل والمرأة؛ لابد أن يكون في مؤسسة أسرية تقوم على النظافة والطهارة والمودة، وفي هذا تيسير على الأمة، وتنظيم للحياة البشرية، ونَثْرٌ للحقوق والواجبات على قدم المساواة بين الطرفين.

ومن هنا نُعرِّج على أنَّ الزواجَ عبادة في الإسلام، فقد ندب الشرعُ إلى النكاح، وحثَّ عليه، وجعله أمراً مستحبًا؛ لأنه يعين على الدِّين، ويقمع شهوات النفس، ويُلجم تلبيس الشياطين».

قال الله عز وجل: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢].

ورغَّب النبي ﷺ بالزواج، فقال: **«النكاحُ سُنَّتي، فمن أحب فطرتي فليستنَّ بسُنَّتي»**(١).

وقال ﷺ: **«مَنْ رغب عن سُنَّتي فليس منِّي»**(٢).

قال ابنُ حجر العسقلاني: **«فليس مني»**: أي: على طريقتي. وفي الحديث دلالةٌ على فَضْل النكاح، والترغيب فيه(٣).

وقد ذَمَّ رسولُ الله ﷺ الامتناع عن الزواج خشيةَ الفقر، وعدم القدرة على الإنفاق، فقال: **«مَنْ ترك التزويجَ مخافةَ العَيْلة فليس منَّا»**(٤).

وقال النبي ﷺ: **«مَنِ استطاع منكم الباءةَ فليتزوَّجْ، فإنه أغضُّ للبصر،**

---

(١) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٢/ ٦٨٩). قال الحافظ العراقي: رواه أبو يعلى في مسنده مع تقديم وتأخير من حديث ابن عباس بسند حسن.

(٢) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٣) فتح الباري (٩/ ١٠٦).

(٤) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٢/ ٦٩٠). قال صاحب القوت: رواه الحسن عن أبي سعيد عن النبي ﷺ. وقال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف ـ والدارمي في مسنده ـ والبغوي في معجمه، وذكره أبو داود في المراسيل من حديث أبي نجيح السلمي، وعند الطبراني من حديث أبي نجيح، ورواه البيهقي عن أبي المقلس مرسلاً.

وأحصنُ للفرْج، ومَنْ لم يستطعْ فعليه بالصوم؛ فإنه له وِجاء»(١).

ورغَّب عليه الصلاة والسلام في تزويج الشاب صاحب الدِّين والأمانة؛ وعلَّل الترغيب خشية الفساد، فقال: **«إذا أتاكم مَنْ ترضَوْن خُلُقَه ودِينَه فزوِّجوه؛ إلا تفعلوا تكنْ فتنةٌ في الأرض، وفسادٌ عَريض»**(٢).

فالزواجُ عصمةٌ للرجل في دينه، ووقايةٌ له من الفساد، وحرزٌ مكينٌ من المخالفة، قال ﷺ: **«مَنْ تزوج فقد استكمل نصفَ الإيمان، فَلْيَتقِ الله في النصف الباقي»**(٣).

وكان ترغيبُ الإسلام بالزواج لما فيه من آثار نافعة، وأمور مُحبَّبة، تعود على الفرد والمجتمع بأفضل النتائج، وأينع الثمرات، ومن ذلك(٤):

«أولاً: كَسْر حدَّة الشهوة.

ثانيًا: طلب الولد.

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠). ورواه أحمد برقم (٣٤١١).

«الباءة»: أصلها في اللغة: الجماع، مشتقة من المباءة، وهي المنزل. ثم قيل لعقد النكاح: باءة؛ لأنَّ مَنْ تزوَّج امرأة بوَّأها منزلاً. «وجاء»: هو رضُّ الخصيتين. والمراد ـ هنا ـ: أن الصوم يقطع الشهوة، ويقطع شرَّ المني، كما يفعله الوجاء.

(٢) رواه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧)، وهو حسن. انظر: الأرواء ح١٨٦٨، والسلسلة الصحيحة للعلامة الألباني رحمه الله ١٠٢٢.

«إذا أتاكم»: أي: خطب إليكم ابنتكم. «مَنْ ترضون خُلُقه»: لأن الخُلُقَ مدارُ حسن المعاش. «ودينه»: لأن الدين مدارُ أداء الحقوق. «إلا تفعلوا...»: أي: إنْ لم تُزَوِّجوا مَنْ ترضون دينه وخُلُقه، وترغبوا في ذوي الحسب والمال، تكن فتنة وفساد؛ لأن الحسب والمال يجلبان الفتنة والفساد عادة.

(٣) رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٤/ ٢٥٢)، وفيض القدير (٦/ ١٠٣).

(٤) السعادة الزوجية، ليوسف بديوي ص(١٩).

ثالثًا: قيام المرء بنصيبه من الواجبات الاجتماعية.

فالزواجُ أفضلُ وسيلة لإنجاب الأولاد، وإبقاء النَّسْل وتكثيره، فالمتزوِّجُ يوافق محبة الله تعالى في تحصيل الولد؛ إبقاءً لجنس الإنسان، كما يوافقُ طَلَبَ رسول الله ﷺ في مُباهاته بكثرة أُمَّته يوم القيامة».

قال عليه الصَّلاةُ والسلام: «**خيرُ نسائكم الولودُ الودودُ**»[(١)].

وقال ﷺ: «**تزوَّجوا الودودَ الولودَ فإني مكاثرٌ بكم**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**تناكحوا تناسلوا فإني مُباهٍ بكم الأممَ يومَ القيامة**»[(٣)].

وهنا تعليلٌ للزواج، وأنه بقصد كثرة النسل، وفيه طَلَبُ تكثير الأولاد.

ثم إنه عَبْرَ الزواج تنمو غريزة الأبوَّة والأمومة في ظلال وجود أطفال صغار، وبالتالي تنمو مشاعرُ العطف، وتتألق أحاسيسُ الودّ والحنان.

فالأطفالُ فلذاتُ الأكباد، وعمادُ الظهور، فلابُدَّ من رعايتهم في جوٍّ أسريّ، وتربيتهم تربيةً صالحة؛ شعوراً بالمسؤولية، حيث أوجب

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٨٢).

(٢) رواه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي (٦/ ٦٥).

(٣) ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (٣٥٠)، والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ٣٨٠).
جاء معناه عن جماعة من الصحابة ـ فأخرج أبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم من حديث معقل بن يسار مرفوعًا: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»، ولأحمد وسعيد بن منصور، والطبراني في الأوسط، والبيهقي، وآخرين من حديث حفص بن عمر بن أخي أنس عن عمه أنس قال: كان رسول الله يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهيًا شديد، ويقول: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»، وصححه ابن حبان والحاكم ولابن ماجة من حديث عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رفعه وقد جمعت طرقه في جزء واحد.

الإسلامُ رعاية الصغار والإحسان إليهم، بل وجعل ذلك حقًا لهم، وواجبًا على آبائهم، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم: ٦].

وهذه الحقوقُ للطفل جاءت تلبيةً لحاجاته الجسمية، والعقلية، والوجدانية، والاجتماعية، والدينية... وهذا يقتضي وجودَ مُربِّين يمتازون بالأمانة، وحُسْن الخُلُق، ولهم حظٌّ وافرٌ من القيم الاجتماعية والأخلاقية، بحيث يتمُّ تهيئةُ الأطفال في مجتمعهم بشكل مُتكامل.

ولنسمع ما يقول الشاعر عمر بهاء الأميري، وهو يُصوِّر صِدْقَ الحنان والشاعرية، وعاطفة الأبوَّة الفيَّاضة العَذْبة، فالأولادُ نعمة عظيمة تستحق الشكر العميم. يقول الشاعر لَمَّا سافر أولادهُ الثمانيةُ من المصيف إلى حلب:

أين الضَّجيجُ العذبُ والشَّغَبُ	أين التدارسُ شابه اللَّعِبُ
أين الطفولةُ في توقُّدها	أين الدُّمى في الأرض والكُتبُ
أين التَّشاكسُ دونما غَرَضٍ	أين التشاكي ماله سَبَبُ
أين التباكي والتضاحكُ في	وقتٍ معًا، والحزنُ والطربُ
أين التسابقُ في مُجاورتي	شَغَفًا إذا أكلوا وإن شربوا
يتزاحمون على مُجالستي	والقُرب مني حيثما انقلبوا
يتوجَّهون بسَوْق فطرتهم	نَحْوي إذا رَهِبوا وإنْ رَغِبُوا
فنشيدُهم «بابا» إذا فرحوا	ووعيدُهم «بابا» إذا غضبوا
وهُتافُهم «بابا» إذا ابتعدوا	ونجيُّهم «بابا» إذا اقتربوا
إنّي أراهم أينما التفتتْ	نَفْسي وقد سكنوا وقد وثَبوا
في كل ركنٍ منهمُ أَثَرٌ	وبكلِّ زاوية لهم صَخَبُ

ويرى الشاعر العطوفُ حطّان بن المعلَّى أن بناته هُنَّ حياته، يتألم لمرضهن، ويتضايق إن تَضايَقْنَ من النسيم، يقول:

لولا بُنَيَّاتٌ كزُغْبِ القَطَا ... رُدِدْنَ من بعض إلى بعضِ
لكان لي مُضطربٌ واسعٌ ... في الأرض ذات الطُّولِ والعَرْضِ
وإنَّما أولادُنا بَيْنَنا ... أكبادُنا تمشي على الأرضِ
لو هَبَّتِ الريحُ على بعضهم ... لامتنعتْ عَيْني من الغمضِ

ولولا الأسرُ المتماسكة لما سمعنا مثل هذا الشعر العذب، فمن ربوع البيوت تناهى ذاك النغم، وانبثَّتْ تموُّجاتُه تتحدث عن الطفولة والأنس والاستقرار النفسي، والأمْن الروحي.

(٣) ثم إن نظام الأسرة في الإسلام يُهذِّب المشاعر، ويرفعها، عوضًا عن كَبْتها وقمعها، فالشهوات تحتاجُ إلى ضبط وتوجيه، لا انفلات أو استقذار؛ لأنها في الأصل موجودة بشكل طبيعي، ولا يمكن إنكارها أو تجاهلها، قال عز وجل: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

والمهمُّ هو معرفة طبيعة هذه الشهوات، والوقوف على بواعثها، ووضعها في مكانها المناسب الذي لا تجور فيه، ولا تتعدى أفقه، ولا تطغى على القيم والمُثُل العليا. وإن اعترافَ الإسلام بالدوافع الفطرية، والشهوات النفسية، يعطي الموقفَ صراحة ووضوحًا؛ إذ الإسلام يدعو إلى تنظيف الدوافع، لا استنكارها، وتوجيه دفّتها، لا إلغائها، فليست العلاقةُ بين

الرجل والمرأة خطيئةً، أو دافعًا شيطانيًا، أو شيئًا مُستقذرًا، بل ذاك الاستمتاع يترقّى إلى مرتبة التسامي، ويعلو إلى معارج العبادة، وهو بذلك يتهادى في حدود الاعتدال بين متطلبات اللذة وأشواق التسامي والتحليق.

ويبقى التطهر الروحي مطلبًا حيويًا؛ ليملك الإنسانُ شهواته، فلا يكون عبدًا لها، يرخي لها القياد، ولا يكون حيوانًا يجري وَفْق نزواته المسعورة؛ فالمسلم ذو إرادة قوية، يملك أمره، ويعرف ذاته، ويعي المطلوبَ منه، ويدرك حق جسده، فيحقق الرغبة في حدود امتداد الحياة، فلا سقوط ولا ارتكاس، ولا امتناع ولا كبت، بل يجري الاستمتاعُ مع التسامي، جنبًا إلى جنب، لا يطغى أحدهما على الآخر البتة، فلا إفراط ولا تفريط، ولا صراع ولا صدام.

ومن هنا نؤكد أن الأسرة المسلمة تُشكِّل وحدة المجتمع، وأن تنظيم الأسرة أمر مهمّ، للحفاظ على الركن الأساس في بناء المجتمع، حيث يستظلُّ الأفرادُ بالمنهج الإسلامي، ويستروحون نسائمه العليلة، ويحسُّون بنداه الرخيم، بعيدًا عن الشرود والمتاهات، وجفاف النفوس، وجحيم الأرواح.

وقد أدرك خصومُ الإسلام ما للأسرة من أهمية وتأثير ودور إيجابي، فعمدوا إلى تحطيمها بوسائل كثيرة، وبذلوا في سبيل ذلك كل ما يملكون من جهد وفكر ومال، وجنّدوا أرتالاً من البشر ليزعزعوا كيانَ الأسرة المسلمة؛ عن طريق الغزو الفكري، وتغيير الاعتبارات، وتشويه التصوُّرات، وإبعاد المسلمين عن نور الهداية المبين، وإغراقهم في لجَّة عميقة من الضلال، والتشويه، والتخبُّط.

وبدأ الغزو الغربي في وضع خطة لبناء الجيل في العالم الإسلامي على

أفكار الغرب؛ بخطى حثيثة؛ لجعل العالم الإسلامي محطَّة وقوفٍ للغرب يستريحُ فيها أنَّى شاء. يقول «شاتليه» في مقدمة بحثه «فتح العالم الإسلامي» أو «الغارة على العالم الإسلامي»: «والتقسيم السياسي الذي طرأ على الإسلام سيمهِّد السبل لأعمال المدنية السياسية، وسوف لا يمضي غير زمنٍ قصير حتى يكون الإسلامُ في حكم مدنية محاطة بالأسلاك الأوروبية»(١).

وهذه المدنية الغربية لها أخطارها وتأثيراتها المدمِّرة، وقد أوضح ذلك «شاتليه» بقوله:

«ولا ينبغي لنا أن نتوقع من جمهور العالم الإسلامي أن يتخذ له أوضاعًا وخصائص أخرى؛ إذا هو تنازل عن أوضاعه، وخصائصه الاجتماعية؛ إذ الضعف التدريجي في الاعتقاد بالفكرة الإسلامية، وما يتبع هذا الضعف من الانتفاض والاضمحلال الملازم له؛ سوف يفضي ـ بعد انتشاره في كل الجهات ـ إلى انحلال الروح الدينية من أساسها، لا إلى نشأتها بشكل آخر»(٢).

واستمرت المؤامرات والغزو الفكري على أشدِّه؛ بقصد تغيير النظم الاجتماعية عند المسلمين، وحثّ دعاة التجديد على متابعة الاقتباس من الحضارة الغربية، دون تمييز بين الغث والسمين، وبين النافع والضار.

وأدرك الغربُ أن تقويض بنيان التربية، وبذر الشكوك في نفوس النشء، إنْ هو إلا معاول هَدْم لعقائد المسلمين، وتغيير جذري للأصول والسلوك والفكر. ووجدوا أن الدخول ينبغي أن يكون من باب الأسرة؛

---

(١) الغارة على العالم الإسلامي، ص٢٠.

(٢) المصدر السابق، ص١٩.

لأن تحلُّلها وتقويضها يؤدي إلى تهديم المجتمع، وإزالة مميزاته، وبالتالي يسهل اعتناق الفكر الغربي، والرضوخ للمدنية الغربية بكل ما فيها من عجر وبجر، وبكل ما تشتمل عليه من أفكار مسمومة، ونزوات هابطة، وشهوات مسعورة.

ولما كان الإسلامُ يقوم على مبدأ الأخلاق الحميدة، فقد رأى الغربُ أن يحطموا سرَّ عظمة الإسلام؛ المتمثل بالتزام الأخلاق، ففتحوا طريق الشهوات على مصراعيه، ودعوا الناسَ إلى التسابق عليه، وذبحوا العفة والشرف والطهارة، وأعلوا من مكانة النزوات، ففقد الكثيرُ غيرتهم ونخوتهم.

ولم يكتفِ أعداءُ الإسلام بذلك، بل طرقوا ميدان إثارة الشبهات، وزرع الفتن، والاهتمام بالحركات المضادّة للفكر الإسلامي، وشككوا بنظام الأسرة، وعزفوا نغم النشاز، ورأوا أن خير وسيلة لهدم الإسلام، هو نقض نظام الأسرة، وجَعْل المرأة تنادي بمتطلبات وحقوق تخالف جوهر الدين، ونجحوا في مسعاهم في كثيرٍ من الأحيان، وكلنا يحسُّ بوطأة هذا الغزو، ويستشعر رائحته العفنة.

وعلى الرغم من محاولات أعداء الإسلام تحطيم الأسرة المسلمة، فإن الواقع يتحدث عن وجود أُسَر حافظت على عقيدتها، وارتبطت بخالقها، وطبَّقت منهج الدين في ربوعها، فبدت متماسكة قوية، وأنتجت ثماراً ناضجة؛ في مجالات الحياة كافة.

ويمكن أن نُجمل القول حول عناية الإسلام بالأسرة من خلال النقاط التالية[1]:

---

(١) مشكلات أسرية وعلاجها، للدكتور أحمد الحجي الكردي، ص١١.

«١ ـ أقام الإسلامُ الزواجَ بين الرجل والمرأة على أساس الرغبة الكاملة، والرضا التام، وبالتالي فإن أسرةً تقوم على أسس قويمة، لابد ـ بإذن الله ـ أن تقوى روابطها مع الأيام، ويصلب عودُها، وتنتج أطفالاً جديرين بالحياة، يحملون أعباءها على كواهلهم باقتدار وعافية.

٢ ـ تقوم الحياةُ الزوجية على أسس من المودة الثابتة، والألفة العميقة بين الزوجين، والتعاون على رعاية الأسرة، والاهتمام بشؤونها، فلا تجبُّر ولا تمرُّد، ولكن محبة وتعاون على البر والتقوى.

٣ ـ اهتمَّ الإسلامُ برعاية الأولاد، والقيام بأمورهم، والإنفاق عليهم، وحُسْن تربيتهم، والاهتمام بعقيدتهم الصحيحة، وثقافتهم الواسعة، وحبهم الذي لا ينضب لله تعالى، وتنفيذهم لأحكامه سُبحانه وتعالى.

٤ ـ نظَّم الإسلامُ أمورَ الأسرة المالية، فبيَّن مَنْ تجب عليه النفقة ومَنْ تجب له النفقة، وبيَّن حدودها، وطريقة استيفائها، وأنَّها واجب من الواجبات الدينية والقضائية، وليست صدقة فيها مِنَّة أو أذى.

٥ ـ نظَّم الإسلامُ مشاكل الأسرة، وما قد يثور بين الزوجين من الخلاف أو الضيق؛ بروح واقعية موضوعية، وسعى إلى حلِّ كل هذه المشكلات برؤية واضحة، ومنهج سليم، وحكم عادل، وبصيرة قوية، ونظر بعيد، وحكمة بالغة.

قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

فإذا ما اشتدَّ النزاع، واستمر الخلاف، وتحوَّل الأمرُ إلى شقاق، جاء قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن

يُريداً إصلاحاً يُوفِّقِ الله بينَهُمَا إن اللَّهَ كان عليماً خبيراً ﴾ [النساء: ٣٥] ليكون العلاج الشافي.

٦ - فإذا ما استمرَّ الخلافُ بين الزوجين، واستعصى الوفاقُ على الحكمين، عمد الإسلامُ إلى التفريق بين الزوجين؛ على أسسٍ تضمن لكلٍّ حقوقه قبل الآخر، وتضمن للأولاد أنسب مستوى من العيش الطيب بعدما استحال عيشُهم في كنف الأسرة، وتحت رعاية الوالدين معاً، فبيَّن أُسس الحضانة، ومقومات النفقة والولاية، وغير ذلك من الأحكام. قال تعالى: ﴿ وإن يتفرَّقا يُغنِ اللَّهُ كُلاًّ من سعته وكان اللَّهُ واسعاً حكيماً ﴾ [النساء: ١٣٠].

وقال جل شأنه: ﴿ أسكنوهنَّ من حيثُ سكنتم من وُجدكم ولا تُضارُّوهنَّ لتُضيقوا عليهنَّ وإن كُنَّ أُولات حملٍ فأنفقوا عليهنَّ حتَّىٰ يضعن حملهنَّ فإنْ أرضعن لكُمْ فآتوهنَّ أُجُورهُنَّ وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضعُ لهُ أُخرىٰ ﴾ [الطلاق: ٦].

وقال عز وجل: ﴿ وإنْ أردتُّمُ استبدال زوجٍ مكان زوجٍ وآتيتُمْ إحداهنَّ قنطارا فلا تأخُذُوا منهُ شيئاً أتأخُذُونه بُهتانا وإثماً مُبيناً ﴾ [النساء: ٢٠].

وبذلك يكون التشريعُ الإسلامي قد رافق الأسرة في مسيرتها، ورعاها منذ لحظة التفكير في إنشائها إلى لحظة إنهائها، مروراً بأحوالها وشؤونها مدة قيامها، وآخذاً بعين الاعتبار العواطف الإنسانية، والطاقة البشرية، والنزوات الجسدية، والخلجات النفسية، مُقدِّراً لكلٍّ منها قدرها، في إطار من الموضوعية الشاملة، بما يُؤمِّن للأسرة أقوى رباط، وأسمى إطار، يلفها، ويقويها، ويشدُّ من أزرها، حتى تقوم بواجبها الاجتماعي والإنساني؛ في الإنجاب والتربية واستمرار الجنس؛ في ظلِّ عبادة الله تعالى، وشكره على نعمه».

المبحث الثاني

الحياة الزوجية: حقوق وواجبات

الزواجُ رابطةٌ مؤكَّدة، وعهدٌ وثيق، وشركة بين طرفين، يتعاون كلٌّ منهما مع الآخر بقصد التعاون والتناصح؛ على أساسٍ من المودَّة والرحمة، والحق والواجب، فإنْ أخطأ طرفٌ صحَّح له الطرفُ الآخر، ونبَّهه بلطفٍ وإيناس ومحبَّة، وهذا تفسيرُ السَّكَن الذي نجده في قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وكلٌّ ما يندرج بين الزوجين ينبني على علاقة التراحم والودّ، قال عز وجل: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]. فالوشائجُ بين الزوجين متينة، لا تنفصل بسهولة، وهي تحميها من البغي والعدوان.

وقد أوصى الله تعالى الرجال بالنساء، واستثار فيهم أخلاق الرجولة والمروءة والرحمة، فجديرٌ بالمؤمن أن يرعى العهد، ويصون الوعد، ويتجنَّب الإيذاء.

فَمَنْ دارىٰ زوجَه، وساسها بلطفٍ ورفق، وصَبَّر على الشدة واللأواء والعِوَج، انتفع بحياته، واستطاع أن يستعين بها على متابعة رحلة العمر.

وما الحقوق والواجبات إلا دروبٌ يسير الزوجان بهديها، فيأمن العاثر، ويتَّقي أشواك الطريق، ويبقى الجمال الأصيل، والإحساس الرقيق، والطموح الوثَّاب؛ لإيجاد أسرة متماسكة، هو الهدف المبتغى، والأمل المنشود.

وفيما يلي عَرْضٌ لحقوق الزوجين وواجباتهما، مع الأدلة والشواهد.

أولاً: حقوق الزوجة

وهي كثيرة جداً، فللمرأة مثل ما عليها، وهذا لم ينكره الإسلام، بل أيَّده، ووضَّحه، فقد جاء جليّاً في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية الشريفة، ونذكر من تلك الحقوق:

(أ) الرفق والملاطفة:

ونعني بذلك أن يتواضع الرجلُ لشريكة حياته، ويعاملها بالحسنى، والكلمة الطيبة، فهي رفيقة دربه، تعمرُ بيته بالبهجة والسرور، وتقوم برعاية شؤون الأولاد، وتتعب وتشقى؛ لذا قال عز وجل: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وهذه دعوة إلى الرفق والإحسان في القول والفعل.

قال الدكتور محمد محمود حجازي: «في كلمة المعاشرة معنى المشاركة والمساواة، أي: كلٌّ يعاشر صديقه من جانبه بالمعروف؛ مُعْرِضاً عن الهفوات، جالباً السرور، معيناً على الشدائد، حافظاً للودّ»(١).

وشبَّه النبيُّ ﷺ النساء بالزجاج السهل الكسر، والذي لا يعود كما كان إن كُسِر، فقال: «**ارفقْ بالقوارير**»(٢).

وكنى ﷺ عن النساء بالقوارير لرقَّتهن وضَعْفهن، والنساء يُشبَّهن بالقوارير في الرقة واللطافة.

---

(١) التفسير الواضح، جـ٤، ص٨٤.

(٢) رواه البخاري (٦٢٠٩).

كما أنه عليه الصلاة والسلام لم يَنْسَ أن يُوصيَ بالنساء، ففي خطبة الوداع قال مُرشدًا مُوجِّهًا: «**الله الله في النساء؛ فإنهنَّ عوان في أيديكم، أخذتموهنَّ بأمانة الله، واستحللتم فروجَهنَّ بكلمة الله**»(١).

فعلى العاقل أن يتحمَّل زوجَه، ويتقبَّل منها بعض ما يصدرُ عنها من هفوات؛ فهي مِنْ خَلْقِ الله، والكمال ليس للخَلْق، بل للخالق وحده عز وجل.

ومن الرفق والملاطفة: ألا يألو جهدًا في الترفيه عنها، وإدخال السرور على قلبها. قال ﷺ: «**أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا، وألطفهم بأهله**»(٢).

(ب) النفقة:

والمقصود بها: تأمين جميع متطلبات المرأة من طعام وشراب ولباس وغير ذلك، مهما زاد مالُها أو نقص.

وقد «انبنت قوامةُ الرجل على أصلين: أحدهما: أنه هو المكلَّف بالإنفاق على الأسرة، وهو تكليف يقوم على أن المرأة لا تعمل لكسب المال؛ لأنها مصروفة عنه إلى غيره من الأعمال؛ التي أعدَّتها لها فطرة الله التي فطر الناس عليها. فإذا أخذ المجتمع بأن تعمل المرأةُ عملَ الرجال، لزم تغيير هذه التشريعات، وتغيير هذه التشريعات يُخرج المسلمين من إسلامهم؛ لأنهم مكلفون بالرجوع إلى كتاب الله في شؤون دينهم ودنياهم، والإذعان له، والتسليم بما جاء به»(٣).

---

(١) رواه مسلم (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٠٧٤).

(٢) رواه أحمد (٦/ ٤٧، ٩٩)، والترمذي (٢٦١٢)، والنسائي في عشرة النساء (٢٧٢).

(٣) حصوننا مهددة من داخلها، ص١٢١.

قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦]. فإنها بموجب هذه الآية تستحق السكن في حال عدَّة الطلاق، فمن باب أولى أن تستحقه في حال الحياة الزوجية.

وهل هناك أعظم وأوضح من هذا القول؛ الذي يُبيِّن ما للمرأة على زوجها من حقوق؟!

وجاء النبي ﷺ ليُكمل الرسالةَ العظيمة، ويؤكِّد حقوق النساء؛ بقوله عليه الصلاة والسلام: **«ولهن عليكم رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف»**[١].

قال ابنُ حزم في كتابه «المحلّى»[٢]: ويُنفق الرجلُ على امرأته من حيث يعقد نكاحها، بنى بها أو لم يبْنِ، ولو أنها في المهد، ناشزًا كانت أو غير ناشز، غنية كانت أو فقيرة، ذات أب أو يتيمة، بكرًا أو ثيبًا، حرة كانت أو أمة، على قدر حاله.

(ج) التزيُّن للمرأة:

كما أنَّ المرأة مطالبة بأن تتزين لزوجها، وتحسن نظافتها وزينتها ولباسها ورائحتها، فإنَّ الرجل أيضا مطالبٌ بذلك، فرسول الله ﷺ يقول: **«حُبِّب إليَّ من دنياكم النِّساء والطِّيب»**[٣].

فالتزيُّنُ يورث المحبة، ويُقوِّي أسبابَ الألفة، ويفتح النفس، ويملأ

---

(١) رواه النسائي في عشرة النساء (٢٩٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٠٤).

(٢) المحلى (٤/ ١٠٦).

(٣) رواه النسائي في عشرة النساء (١)، وأحمد (٣/ ١٢٨، ١٩٩)، وأبو يعلى (٣٤٨٢، ٣٥٣٠)، والبيهقي (٧/ ٧٨).

القلبَ بالسعادة، وكم هو جميلٌ أن تشعر المرأةُ بالاهتمام من الرجل عندما يتزيَّن، ويتجمَّل لها كما تفعل هي له، فكلّنا نحب الجمال، حيث: «**إن الله جميلٌ يحبُّ الجمال**»(١).

و«مِنَ الفطرة التي طُبع عليها الإنسان: أن يبدو بمظهر جميل، وشكل أنيق، في حدود الوسطية، دون إفراط أو تفريط»(٢).

فالتزيُّنُ حقٌّ للمرأة وحقٌّ للرجل، قال ابنُ عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إني أحب أن أتزينَ للمرأة كما أحب أن تتزيَّن لي.

والمسلم نظيفٌ على الدوام؛ لأنه يستعمل الماء للوضوء؛ فـ«**لا تُقبل صلاةٌ إلا بطهور**»(٣).

والمداومة على غَسْل الأعضاء الجسدية يبقي المسلمَ على طهارة مستمرة، فيتخلَّص من الأوساخ، ويداوم على النظافة.

ومن المؤسف أن يدخل الرجلُ بيته، فيأكل وينام، دون أن يغسل يديه ووجهه، بعد أن كان في السوق أو مكان العمل، وقد صافَحَ هذا، واشترى ملابسًا من ذاك، وأمسك الخضراوات بيديه، وارتاد الأماكن العامة.

أمَّا تقليم الأظفار فهو من سُنن الفطرة، وفي قصِّها فائدتان(٤):

إحداهما: تحسين الهيئة والزينة.

---

(١) رواه مسلم (٩١)، والترمذي (١٩٩٩).

(٢) النظافة؛ ليوسف علي بديوي وأحمد السيد، ص٩٩.

(٣) رواه أحمد (٢/ ١٩ ـ ٢٠)، ومسلم (٢٢٤)، والترمذي (١)، وابن ماجه (٢٧٢).

(٤) الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (٢/ ١٥٤).

الثانية: أنه أقرب إلى تحصيل الطهارة الشرعية على أكمل الوجوه؛ لِما عساه أن يَحْصل تحتها من الوسخ المانع من وصول الماء إلى البَشَرة».

«أمَّا ذلك الزوج الذي تفوحُ الرائحة الكريهةُ من فمه، إذ يهملُ نظافته، ويترك رواسبَ الطعام تتكدَّس على أسنانه، ويتكاسل عن المضمضة، واستعمال السِّواك أو غيره، فنُذكِّره بأنَّ له زوجةً تعيش معه، وترعى شؤونه، فعليه احترامُ مشاعرها، والقيام بأدنى درجات النظافة الفموية»[1].

ومِنْ زينة الرجل للمرأة: أن يزيل ما يجتمع في شعر الرأس من الأقذار والغبار والمواد الدهنية، ومن ثم يُرجِّله ـ يمشِّطه ـ قال ﷺ: **«مَنْ كان له شعرٌ فليكرمه»**[2].

وعن جابر قال: أتانا رسولُ الله ﷺ زائرًا في منزلنا، فرأى رجلاً شَعِثًا، فقال: **«أمَا كان يجدُ هذا ما يُسكِّنُ به شَعْرَه؟!»**[3].

وعن أبي قتادة الأنصاري أنه قال لرسول الله ﷺ: إنَّ لي جُمَّة، أفأُرجِّلها؟ فقال رسولُ الله ﷺ: **«نعم، وأكرِمْها»**. فكان أبو قتادة ربَّما دَهَنها في اليوم مرتين؛ لِما قال له رسولُ الله ﷺ: **«وأكرِمْها»**[4].

ومِنْ زينة الرجل أيضًا: تنظيف لحيته، وإزالة الشعث منها، والاهتمام بنظافتها، فقد كان ﷺ يُسرِّح لحيته في اليوم أكثر من مرة[5].

---

(١) النظافة، لبديوي والسيد، ص٦٨.

(٢) رواه أبو داود (٤١٦٣).

(٣) رواه أحمد (٣/ ٣٥٧)، وأبو داود (٤٠٦٢)، والنسائي (٨/ ١٨٣ ـ ١٨٤).

(٤) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩٤٩).

«جُمة»: شعر الرأس إذا بلغ المنكبين. «أفأرجلها»: أُسرِّحها. «أكرِمها»: بصَوْنها من نحو وسخ وقذر، وبتعاهدها بالتنظيف والدهن.

(٥) ذكره الغزالي في كتابه «الإحياء» (١/ ٢٤٤).

ومِنْ زينة الرجل: إزالة ما طال من شعر الرأس، والشارب، قال ﷺ: «**قصُّوا الشوارب**»(١). وقال عليه الصلاة والسلام: «**جُزُّوا الشوارب**»(٢).

ويستحب للرجل نَتْفُ الإبط، وإزالة شعر العانة، قال ﷺ: «**عَشْرٌ من الفطرة: قَصُّ الشارب، وإعفاء اللحية، والسِّواك، واستنشاق الماء، وقصُّ الأظفار، وغَسْل البراجم، ونَتْفُ الإبط، وحَلْقُ العانة، وانْتقاص الماء**»(٣).

«وهذه الخصالُ مجتمعة في أنها محافظة على حُسْن الهيئة والنظافة، وكلاهما يحصلُ به البقاء على أصل كمال الخِلْقة التي خُلِق الإنسانُ عليها، وبقاء هذه الأمور وترك إزالتها يُشوِّه الإنسانَ ويقبحه، بحيث يُستقذر، ويُجتنب، فيخرج عمَّا تقتضيه الفطرةُ الأولى، فسُمِّيت هذه الخصال فطرةً لهذا المعنى»(٤).

(د) المعاشرة بالمعروف:

قال الله تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ١٩].

وهذه الوصية الربانية دعوةٌ لإقامة العلاقات الزوجية على أساس من الإحسان والرحمة، وأما أمر الله سُبحانه به، فلا يعبس في وجه زوجه بلا

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٢٩).

(٢) رواه مسلم (٢٦٠).

(٣) رواه أحمد (٦/ ١٣٧)، ومسلم (٢٦١)، وأبو داود (٥٣)، والترمذي (٢٧٥٨)، والنسائي (٨/ ١٢٦ ـ ١٢٧). قال مصعب ـ أحد الرواة ـ: ونسيتُ العاشرة إلا أن تكون المضمضة. «انتقاص الماء»: يعني: انتقاص البول بالماء إذا غَسَل المذاكير به.

(٤) المفهم شرح صحيح مسلم (١/ ٥١١ ـ ٥١٢).

ذنب، ولا يُبدي اهتمامًا أو ميلاً لامرأةٍ غيرها، ولا يقول لها الفظ الغليظ من القول.

وحُسْن المعاشرة يتطلب حُسْن الخلق، قال ﷺ: **«أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا، وخياركم خياركم لنسائهم»**[١].

وأوصى ﷺ الرجلَ بزوجه حُسْنًا، فقال: **«إنَّ المرأة خُلقَتْ من ضِلَع، لن يستقيم لك على طريقة، فإن استمتعتَ بها، استمتعتَ بها وفيها عوج»**[٢].

وقال ﷺ: **«إنَّ المرأة خُلقَتْ من ضِلَع، فإنْ أقمتها كسرتَها، فَدَارِها تعِشْ بها»**[٣].

وإنَّ لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في معاملته الفضلى لنسائه، فقد كان لطيفًا معهن، مداعبًا لهن، وكان عليه الصلاة والسلام مثال الرقة واللطف، فكان يصفح عن نسائه، ويتَّسع صدرُه الشريف لأخطائهن.

عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلتْ إحدىٰ أمهات المؤمنين بصَحْفَةٍ فيها طعام، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يدَ الخادم، فسقطت الصَّحْفَةُ، فانْفَلَقَتْ، فجَمع النبي ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَة، ثم جعل يجمعُ فيها الطعام الذي كان في الصَّحْفة، ويقول: **«غارتْ أُمُّكم»** ثم حبس الخادمَ حتىٰ أتىٰ بصَحْفَةٍ من عند التي هو في بيتها، فدفع الصَّحْفَةَ الصَّحيحة إلىٰ التي كُسِرَتْ صحفتُها، وأمسك المكسورةَ في بيت التي

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٥٠)، وأبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وابن حبان (٤١٦٤)، والحاكم (١/ ٣).

(٢) رواه مسلم (١٤٦٨).

(٣) رواه مسلم (٢٦٧٠)، ورواه ابن حبان (٤١٦٦)، والبزار كما في كشف الأستار (١٤٧٦)، والحاكم (٤/ ١٧٤).

كُسِرَتْ فيه»(١).

وعن ابن عباس: أن عمر بن الخطاب قال: صخبتْ عليَّ امرأتي، فراجعتني، فأنكرتُ أن تُراجعني، قالت: ولِمَ تُنكر أن أُراجعك؟! فوالله إنَّ أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وإنَّ إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل. فأفزعني ذلك، فقلتُ لها: قد خاب مَنْ فعل ذلك منهن. ثم جمعتُ عليَّ ثيابي، فنزلتُ، فدخلتُ على حفصةَ، فقلتُ لها: أيْ حفصة، أتُغاضِبُ إحداكُنَّ النبي ﷺ اليومَ حتى الليل؟! قالت: نعم، فقلت: قد خبت وخسرت، أفتأمنين أنْ يغضبَ اللهُ لغضب رسول الله ﷺ فتهلكي؟! لا تستكثري النبي ﷺ ولا تُراجعيه في شيء، ولا تهجريه(٢).

ودعا رسولُ الله ﷺ المسلمين إلى تحمُّل أخطاء المرأة بصدر رحب، ونفس رضية، وعليهم أن يغفروا سيئات النساء لحسناتهن، ويتغاضوا عما يكرهون لما يحبون. قال ﷺ: **«لا يفرك مؤمنٌ مؤمنة، إنْ كره منها خُلُقًا رضي منها آخر»**(٣).

ثم إنه ليس هناك إنسانٌ كامل، فالكمالُ من صفات الله عز وجل، وبالتالي لا تُوجد سعادةٌ كاملة، فلابُدَّ من حدوث بعض المشكلات والمنغِّصات في سَيْر الحياة الزوجية، والزوجان العاقلان هما اللذان يتعاونان على حلِّ ما يعترضهما، والتغلب عليه بصبرٍ وهدوء، وإيجاد الحلول المناسبة لكل مشكلة طارئة، دون تسرُّع، أو انفعال، وإلا تشوَّه التفكير

---

(١) رواه البخاري (٥٢٢٥).

(٢) رواه البخاري (٥١٩١).

(٣) رواه مسلم (١٤٦٩).

«يفرك»: يبغض.

واهتزت أركانُ الأسرة، وارتدَّ السلوك نحو الحضيض. والمهمُّ أن تستمر الحياة الزوجية، وتعود الأمور إلى طبيعتها قبل حدوث المشكلة.

ومن المعاشرة بالمعروف ـ حتى في حال الكراهة ـ أن نتجنَّب أذى المرأة، ولو بالكلمة النابية أو القبيحة. فعن معاوية بن حيدة قال: قلتُ: يا رسول الله، ما حقُّ زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تُقَبِّح، ولا تهجر إلا في البيت»(١).

ويحرم على الزوج أن يؤذي زوجه، أو يسيء إليها للإضرار بها، فتضطر إلى خَلْع نفسها.

قال تعالى: ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ولا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إلاَّ أن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ [النساء: ١٩].

والمقصود من هذه الآية: نفي الظلم عن النساء، وعدم الإضرار بهن، فلا يُجْعَلْن كالمال يُورَثْنَ عن الرجال.

ومِنْ حُسْن المعاشرة: أن يكون الرجلُ باشَّ الوجه، طَلْق المحيّا، يختار الكلمة الجميلة، ويشكر زوجَه على ما تقوم به من أعمال وخدمات.

ولا بأسَ أن يَضعَ الرجلُ لقمةً طيبة في فم زوجته، فتلك اللقمة تساوي عندها كنوزَ الدنيا بأسرها؛ إذْ تحسُّ أنَّ لها قدراً أو كياناً، وأن مكانتها في نفس زوجها تزداد يوماً إثر يوم. قال ﷺ: «إنك ـ إن شاء الله ـ لن تُنْفِقَ نفقةً إلا أُجرت بها، حتى اللقمة ترفَعُها إلى في امرأتك»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٣٠٧٦)، ورواه أبو داود (٢١٤٢)، والترمذي (١٨٥٠)، وأحمد (٤/ ٤٤٧ و٥/ ٥٢٣).

(٢) رواه البخاري (٥٦)، ومسلم (١٦٢٨).

وكان ﷺ يسابق عائشة رضي الله عنها، فتسبقه مرة، ويسبقها أخرىٰ. فعن عائشة قالت: خرجتُ مع رسول الله ﷺ - وأنا خفيفةُ اللحم - فنزلنا منزلاً، فقال لأصحابه: «تقدَّموا» ثم قال لي: **«تعالَيْ حتى أسابقكِ»** فسابقني، فسبقتُه، ثم خرجتُ معه في سفر آخر، وقد حملتُ اللحم، فنزلنا منزلاً، فقال لأصحابه: **«تقدَّموا»** ثم قال لي: **«تعالَيْ أسابقك»** فسابقني فسبقني، فضرب بيده كتفي، وقال: **«هذه بتلك»**[1].

وفي الأمسيات والأسمار يلاطفُ الرجلُ زوجَه، ويُحدِّثها بما يُسرُّها، ويُدخل البهجةَ إلىٰ نفسها، ويُقدِّرها أمام الناس، وأمام أولادها علىٰ وجه الخُصوص.

ومِنْ حُسْن المعاشرة: أن يُحْسِنَ الرجلُ الظن بزوجه، فلا يتجسَّس عليها، ولا يتَّبع هفواتها، أو يُعدِّد عليها عثراتها، وليكن معتدل الغَيْرة، غير مسرفٍ في تقصِّي كلِّ حركاتها وسكناتها، فإنْ فَعَل ذلك؛ فإنه يُفسد العلاقة الزوجية، ويقطع أوصالها. ولكنه مع ذلك «لا يتغافل عن الأمور التي تُخشىٰ مغبَّتها، ويصعب علاجُها إذا أُهملت، فلا يسكتُ عن تقصير في واجب، أو ميلٍ إلىٰ سوء، أو تلبّس بمنكر؛ فإنَّ اعتيادَ هذه الأشياء من الزوجة، وسكوت الزوج عليها؛ يؤدي إلىٰ استمرائها الأمرَ المنكر، فيصبح لها خُلُقًا يصعب علاجُه»[2].

ومِنْ حُسْن المعاشرة: ألا يكشف لزوجه ستراً؛ لأن ذلك يزرع الحقد، ويكون إنذاراً بنشوء القطيعة والكُرْه، وذلك من سوء الخُلُق، ومن أجل ذلك

---

(١) رواه النسائي في عشرة النساء (٥٧).

(٢) حقوق المرأة في الإسلام؛ لكوثر الميناوي، ص٥٣.

منع الإسلامُ كَشْفَ سرِّ البيوت، فقال ﷺ: «ألا يخشى أحدكم أن يخلو بأهله، يُغلق بابًا، ثم يرخي سترًا، ثم يقضي حاجته، ثم إذا خرج حدَّث أصحابه بذلك.. فلا تفعلوا، فإنما مَثَلُ ذلك مثل شيطانٍ لقي شيطانة على قارعة الطريق، فقضى حاجته منها، ثم انصرف وتركها»[1].

ومِنْ حُسْن العاشرة أيضًا: أن يسمح لزوجه بزيارة أهلها في أوقات معلومة، وذلك من باب صلة الرحم، وطلب رضا الوالدين، وبرِّهما.

(هـ) صيانة المرأة والغيرة عليها والاعتدال فيها:

مِنْ واجب الزوج وحق الزوجة عليه: صونها عن كل ما يُدنِّس سمعتها، وإبعادها عن المواطن التي تخدش حياءها وشرفها، أو تؤثر عليها بأدنى سوء أو أقلّ فساد، وعن كل ما يعرِّضها لأقاويل السوء وأراجيف البهتان، وهذا من الغيرة التي يحبها الله عز وجل، ويحث للتمسك بها.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

فالغَيْرة مطلوبة، ونعني بها: عدم التغافل عن الأمور التي تُخشى نتائجها، وعدم المبالغة في الظن، والقسوة في المحاسبة.

قال ﷺ: «إنَّ من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل، وهي من غيرة الرجل على أهله من غير ريبة»[2].

والغيرة مثار الكرامة، وإن كانت في محلها فهي محمودة، قال ﷺ:

---

(١) رواه البزار كما في كشف الأستار (١٤٥٠)، وانظره في مجمع الزوائد (٤/ ٢٩٤).

(٢) رواه النسائي (٥/ ٧٨)، وابن ماجه (١٩٩٦)، والدارمي (٢/ ١٤٩).

«إن الله يغار، والمؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي الرجل ما حرَّم عليه»[١].

وقد وضَّح ﷺ الغيرة، وأبان عن موطنها الحق، وموردها الصافي، وكشف النقاب عن الباطل فيها، حيث قال رسولُ الله ﷺ لابنته فاطمة: **«أيّ شيء خير للمرأة؟»** فقالت: ألا ترىٰ رجلاً ولا يراها رجل. فضمَّها إليه، وقال: **«ذرية بعضها من بعض»**[٢].

قال ابنُ قيِّم الجوزية: «أصل الدين: الغَيْرة، ومَنْ لا غَيْرة له لا دينَ له؛ فالغيرة تحمي القلب فتحمي له الجوارح؛ فتدفع السوء والفواحش. وعدم الغَيْرة يميت القلب، فتموت له الجوارح، فلا يبقىٰ عندها دفع البتة»[٣].

«والغيرة التي تعجب النساء هي الغيرة المتزنة المترفِّقة الأبية، الدَّالَّة علىٰ عقل راجح يفهم كلَّ شيء، وفكر ثاقب يلحظ كل شيء، وثقة عميقة بالنفس في مقدورها أن تقاوم كل شيء. هذه الغيرة هي التي تفتن المرأة؛ لأنها تحمل في هدوئها الواثق معنىٰ الرجولة»[٤].

(و) جماع المرأة:

للزواج فوائد وثمار عديدة، منها: كَسْر حدّة الشهوة عن طريق علاقة مشروعة، وإرواء الغريزة الجنسية بإتيان المرأة ومجامعتها، وهذا حلال في حال طهر المرأة، قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

---

(١) رواه البخاري (٥٢٢٣)، ومسلم (٢٧٦١).

(٢) رواه البزار كما في مجمع الزوائد (٤/ ٢٥٥).

(٣) الداء والدواء، لابن قيِّم الجوزية، ص١٣١.

(٤) الغيرة، لإبراهيم المصري (٤١).

والجماعُ يأتي في الدرجة الأولى من مستلزمات الزواج، ففيه إشباع الغريزة الجنسية بطريق حلال، وجَعَل عز وجل لذلك أجرًا وثوابًا، فقال ﷺ: **«ولكَ في جِماعكَ زوجتَكَ أجر»**[١].

كما ارتفع الإسلام بمسألة الجِماع إلى مرتبة العبادة، وجعل لذلك أجرًا يُثاب عليه الزوجان، فهما قد ابتعدا بزواجهما الشرعي عن ارتكاب الموبقات وإجتراح الآثام، وعاشا في جوّ يسوده الوئام، وتحيط به العلاقات الطيبة، في تبادلٍ عاطفي عميق منسجم، وكما ذكر رسولُ الله ﷺ فالجِماعُ صدقةُ الرجل على زوجه، ومِنْ تمام النعمة: أن يحسَّ الإنسان أنه يُشبع رغباته، وينال مبتغاه، وتطمئن نفسه، وتهدأ خواطره، ويظفر بثواب الله عز وجل.

فالجماعُ بالنية الصالحة، وقَصْد العفة لنفسه أو لزوجه؛ عبادة، قال رسولُ الله ﷺ: **«ومباضعتك أهلك صدقة»** قالوا: يا رسول الله، أيقضي الرجلُ شهوته، وتكون له صدقة؟! قال: **«نعم، أرأيتَ لو جعل تلك الشهوة فيما حَرَّم الله عليه، ألم يكن عليه وِزْر؟!»** قالوا: بلى. قال: **«فإنه إذا جعلها فيما أحلَّ اللهُ له فهي صدقة»**[٢].

وجَعَل عز وجل المرأة سكنًا للرجل، يرتاح لها قلبُه، وتقوم بينهم علاقة خاصة، لُبُّها المودة، ولحمتها الحب، وسُداها الرحمة، فهي ملاذه الذي

(١) رواه أحمد (٥/١٦٨ ـ ١٦٩)، والنسائي في عشرة النساء (١٤١)، والبيهقي في «الآداب» ص٩٢ ـ ٩٣.

(٢) رواه مسلم (١٨٤)، وأبو داود (١٢٨٥، ١٢٨٦)، والنسائي في عشرة النساء (١٤٢)، وابن خزيمة (١٢٢٥)، وابن حبان (٤١٥٥).

يرتاح عنده، ويجد لديها الاستمتاع المفضي إلى العبادة، واللذة المأجورة، فهي شفاء له، ودواء موصل إلى النعيم.

قال ﷺ: «**إن المرأة تُقبل في صورة شيطان، وتُدبِر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأةً فأعجبته فليأتِ أهلَه، فإنَّ ذلك يردُّ ما في نَفْسِه**»(١).

وللجماع آداب ينبغي مراعاتها، ومنها:

* أن يدعو بقوله ﷺ: «**اللهم جنِّبني الشيطان، وجنِّب الشيطانَ ما رَزَقْتنا**»(٢).

* أن يُمهِّد للجماع بالمداعبة والملاعبة والملاطفة، فإن من أهمِّ الأمور التي ينبغي على الزوج أن يحرص عليها: مداعبته زوجه؛ لما في ذلك من أثر كبير في تمتين العلاقات الروحية والجنسية بين الزوجين، فالاستمتاعُ الجسدي يتطلب لباقةً من الرجل بما يعطيه لزوجه من رغبة صادقة، وتعاطف تام، ومحبة قائمة. قال ﷺ: «**إذا جامع أحدكم أهلَه فليَصْدُقْها، فإذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا يُعْجِلْها حتى تقضي حاجتها**»(٣).

وفي هذا الحديث دعوةٌ إلى انتظار المرأة حتى تُشبع حاجتها الجنسية، وتصل إلى قمة اللذة، بعد أن يكون الرجلُ قد أحسَّ بها، فلابُدَّ من مراعاة مشاعر المرأة، واحترام أحاسيسها، وإمهالها حتى تقضي وطرها.

والزوجة الحكيمة تستطيع بلباقتها، وزينتها، ونظافة جسدها أن تدفع زوجها للسكن إليها، والقرب منها، فالمحبة تحقق السعادة، أما الوطء دون

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٢٢).

(٢) رواه البخاري (٥١٦٥)، ومسلم (١٤٣٤).

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده (٤٢٠١)، وانظره في مجمع الزوائد (٤/ ٢٩٥).

تمهيد فيعتبر سماجة ووحشية، حين يرتمي الرجل على المرأة لقضاء حاجته منها، ثم يبتعد عنها لاحقًا وقد قضى وطره وحده!

من أجل هذا رفع الإسلامُ من شأن مداعبة الزوجة، فقال ﷺ: «**كلُّ شيء ليس فيه ذِكْرُ الله فهو لهو ولعب؛ إلا أربع: ملاعبةُ الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسَه، ومَشْيُهُ بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة**»(١).

والقُبْلة لها أثر مهمّ في تقريب المشاعر بين الزوجين، وتوليد الحب بينهما، ولأهميتها كان النبي ﷺ يُقبِّل وهو صائم، ويُباشر وهو صائم(٢).

* ويحرم إتيان المرأة في غير موضع الولد؛ لقول الله تعالى: ﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ**﴾ [البقرة: ٢٢٣].

عن مجاهد قال: عرضتُ المصحفَ على ابن عباس ثلاثَ عَرْضات من فاتحة الكتاب إلى خاتمته، أُوقِفه عند كل آية منه، فأسأله عنها؛ حتى انتهى إلى هذه الآية: ﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ**﴾ فقال ابن عباس: إنَّ هذا الحيَّ من قريش كانوا يَشْرَحون النساء بمكة، ويتلذَّذون بهنَّ مُقْبلات ومُدْبرات؛ فلما قدموا المدينة تزوَّجوا من الأنصار، فذهبوا ليفعلوا بهن كما كانوا يفعلون بمكة، فأنكرن ذلك، وقُلْنَ: هذا شيء لم نكنْ نُؤتَى عليه. فانتشر الحديث حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ، فأنزل اللهُ تعالى في ذلك: ﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ**﴾ قال: «**إن شئتَ مقبلةً، وإن شئتَ مُدْبرة، وإن شئتَ باركة**»، وإنما يعني بذلك موضعَ الولد للحرث. يقول: ائتِ الحرثَ حيث شئت(٣).

---

(١) رواه البخاري (٥٣٦٧)، ومسلم (٥٦)، والنسائي في عشرة النساء (٥٢ و٥٣ و٥٤).

(٢) رواه البخاري (١٩٢٧)، ومسلم (١١٠٦/ ٦٥).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٧٩)، والواحدي في أسباب النزول (١٠٧ ـ ١٠٨).

وقال ﷺ: «لا ينظر اللهُ إلى رجلٍ يأتي المرأةَ في دُبرها»[١].

قال القاضي ابن العربي: وسألتُ الإمامَ القاضي الطوسي عن هذه المسألة، فقال: لا يجوز وطءُ المرأة في دُبُرها بحال؛ لأن الله تعالى حرَّم الفَرْجَ حال الحيض لأجل النجاسة العارضة، فأولى أن يُحرِّمَ الدُّبُرَ بالنجاسة اللازمة[٢].

وعن ابن عباس قال: جاء عمرُ بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله، هلكتُ! قال: «وما أهلكك؟!» قال: حوَّلتُ رَحْلي الليلة. قال: فلم يردَّ عليه رسولُ الله ﷺ شيئًا. قال: فأُوحي إلى رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ..﴾ فقال: «أقبل وأدبرْ واتَّقِ الدبر والحيضة»[٣].

* ومن الحديث السابق «اتق الدبر والحيضة» يتبيَّن لنا تحريمُ إتيان الحائض. وقال عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وله مباشرتها دون الفرج.

فالعلاقة الزوجية لها هدفٌ سام هو إنجاب الذرية، ولا يتحقق ذلك في مدة الحيض، إلى جانب الأضرار البالغة للرجل والمرأة؛ لأن الحيض قذارة ودم ونجس ومكروه، ويحصل الأذى بريحه وضرره، فَضْلًا عن الاشمئزاز النفسي، وابتعاد الفطرة السليمة النظيفة عن مباشرة المرأة في تلك الحالة، فلا ينبت غرس، ولا تشعّ حياة، ولا تتحقق لذة، ولما في ذلك من الأضرار التي أثبتها الطب الحديث؛ لذا كان التحريم صونًا للعلاقة بين الزوجين، فإذا انتهى الحيض، ابتغى المسلمُ الحلال، ونال الأجر الوافر.

---

(١) رواه أبو داود (٢١٦٢)، والنسائي في عشرة النساء (١٢٥)، وابن ماجه (١٩٢٣).

(٢) أحكام القرآن، لابن العربي (١/ ١٧٤).

(٣) رواه الترمذي (٢٩٨٠).

ولا تُهمَل المرأةُ في الحيض، فعن عائشة قال: كانت إحدانا إذا كانت حائضًا؛ أمرها رسولُ الله ﷺ فتأتزر، ثم يُباشرها[(١)].

وهذا يؤكِّد استمتاع الزوجين دون جماع، حيث قال ﷺ: **«اصنَعُوا كلَّ شيء إلا النكاح»**[(٢)].

ومن هنا نؤكد أن العلاقة الجنسية بين الزوجين لا تقتصر على الجماع، بل تشتمل على الاستمتاع بالأنوثة، والأحاسيس الإنسانية من شمٍّ وضمٍّ، ومداعبة، ولهو، وملامسة، واستمتاع بالجسد على أيِّ وجه غير الجماع، وهذا يُخفِّف حِدَّة انزعاج المرأة من الحيض، حيث تشعر بشيء من الراحة والهدوء.

* ولابُدَّ من الإشارة إلى ضرورة حفظ أسرار الزوجين، وعدم الإباحة بها للناس، لاسيما ما يجري بينهما من جماع. قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ من شرِّ الناس عند الله منزلةً يوم القيامة: الرجل يُفضي إلى امرأته، وتُفضي إليه، ثم ينشر سرَّها»**[(٣)].

قال أبو العباس القرطبي: «ومقصود هذا الحديث أن الرجل له مع أهله خلوة، وحالة يقبحُ ذكرُها، والتحدث بها، وتحمل الغَيْرةُ على سترها، ويلزم من كشفها عارٌ عند أهل المروءة والحياء، فإنْ تكلَّم بشيء من ذلك وأبداه، كان قد كشف عورة نفسه؛ إذْ لا فَرْقَ بين كشفها للعيان وكشفها للأسماع والآذان؛ إذْ كلٌّ واحدٍ منهما يحصلُ به الاطلاع على العورة»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٣٠٢)، ومسلم (٢٩٣).

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٣١)، ومسلم (٣٠٢)، والترمذي (٢٩٧٧)، والنسائي (١/ ١٥٢)، وابن ماجه (٦٤٤).

(٣) رواه أحمد (٣/ ٦٩)، ومسلم (١٤٣٧/ ١٢٣ و١٢٤)، وأبو داود (٤٨٧٠).

«سرَّها»: نكاحها.

(٤) المفهم شرح صحيح مسلم (٤/ ١٦٢).

ثانيًا: حقوق الزوج

سبق أن أشرنا إلى أنَّ الحياة الزوجية شركة بين اثنين، رأس مالها: المحبة والمودة والتفاهم، فالزوجية نظامٌ مطرد في الوجود المشهود؛ في الإنسان، وسائر الحيوان، والنبات.. قال تعالى: ﴿ **وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [الذاريات: ٤٩].

وكل شيء فيه شركة يؤكِّد لنا أن هناك حقوقًا لكل منهما، فيستوجب بالتالي واجبات مطلوبة من كلٍّ منهما.

ومثلما عرفنا في الصفحات السابقة أنَّ ثمة حقوقًا للزوجة، كذلك هناك حقوق للزوج، يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

(١) الطاعة:

تُعدُّ الطاعة أول الحقوق الواجبة على الزوجة، وينبغي أن تكون هذه الطاعة في غير معصية، حيث **«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»**(١).

فالرجلُ هو المسؤول عن الإنفاق على البيت، وهو المنظِّم للأسرة، وله حق القوامة على زوجه، وطاعتها له، قال تعالى: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾ [النساء: ٣٤].

وحقُّ الرجل كبير، فقد قال ﷺ: **«لو أمرتُ أحدًا أن يسجدَ لأحد؛ لأمرتُ المرأة أن تسجدَ لزوجها؛ من عِظَم حقّه عليها»**(٢).

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٤٢٦ و٤٣٢ و٤٣٦)، ورواه البخاري (٦٧٢٥)، ورواه مسلم (١٨٣٩).

(٢) رواه أبو داود (٢١٤٠)، والترمذي (١١٥٩)، وابن ماجه (١٨٥٣)، وأحمد (٤/ ٣٨١، و٥/ ٢٢٨).

وحدَّد ﷺ صفات المرأة المرغوبة، وخصالها الحميدة، فهي تُدْخِل السرور إلى فؤاد زوجها، وتحفظه في غيابه عن المنزل، ولا تفشي سرَّه، فقال ﷺ: **«خيرُ النساء التي إذا نظرتَ إليها سرَّتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غِبْتَ عنها حفظتك في نفسها ومالك»**(١).

فهل هناك دليلٌ أقوى من هذا الدليل؛ الذي يُوجب حق الزوج بالطاعة من قبل الزوجة؟! فطاعتها من أسباب دخولها الجنة، قال ﷺ: **«إذا صلَّتِ المرأةُ خَمْسَها، وصامت شهرها، وحفظتْ فَرْجها، وأطاعت زوجها، دخلتِ الجنة»**(٢).

وهذا يؤكد أنَّ عصيانَ الزوج يُدْخِل المرأة النار، فعن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: **«رأيتُ النار، فلم أر كاليوم منظرًا قطُّ. ورأيتُ أكثرَ أهلها النساء»** قالوا: بِمَ يا رسول الله؟ قال: **«بكُفْرهنَّ»**. قيل: أيكْفُرنَ بالله؟ قال: **«بكُفْرِ العَشِير، وبكفر الإحسان. لو أحسنتَ إلى إحداهن الدهر، ثم رأتْ منك شيئًا، قالتْ: ما رأيتُ منكَ خيرًا قطُّ»**(٣).

ومن طاعة الزوجة لزوجها: ألا تمتنع عنه عندما يطلبها؛ لتحمي نفسها من لعنة الملائكة، قال عليه الصلاة والسلام: **«إذا دعا الرجلُ امرأته إلى فراشه، فأبتْ أن تجيء، فبات غضبان، لعنتها الملائكة حتى تصبح»**(٤).

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (٣٠٦).

(٢) رواه أحمد (١٥٧٣)، ورواه البزار كما في كشف الأستار (٢/ ١٧٧ و١٨١)، وانظره في مجمع الزوائد (٤/ ٣٠٥).

(٣) رواه البخاري (٥١٩٧)، ومسلم (٩٠٧).

«العشير»: الزوج المعاشر.

(٤) رواه البخاري (٥١٩٣)، ومسلم (١٤٣٦).

وعلىٰ المرأة أن تُمكِّن زوجَها من نفسها فورًا حيث لا عذر، ويؤكد هذا الحقَّ حديثُ رسول الله ﷺ: **«إذا الرجلُ دعا زوجتَه لحاجته فلتأت، وإنْ كانت على التنور»**[١].

والمراد بذكر التنور: حثّها علىٰ تمكينه، وإن كانت مشغولة بما لا بُدَّ منه[٢]. وهذا يؤكِّد شدَّة حقه عليها، ووجوب طاعتها له.

وإنْ طاعة الزوجة للزوج أكَّدها رسولُ الله ﷺ في حديثه الشريف، عندما قرن ذلك بالشهادة في القتال والجهاد، فعن ابن عباس قال: جاءت امرأةٌ إلىٰ النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، أنا وافدةُ النساء إليك، هذا الجهاد كتبه اللهُ علىٰ الرجال، فإن يُصيبوا أجروا، وإن قُتِلُوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، ونحن ـ معاشر النساء ـ نقوم عليهم، فما لنا من ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أبلغي مَنْ لقيت من النساء أنَّ طاعة الزوج، واعترافًا بحقِّه؛ يعدل ذلك، وقليل منكن من تفعله»**[٣].

ومن طاعتها له أيضًا: شكره علىٰ ما يفعله من أجلها، ومن أجل أسرتها، والثناء عليه لما يُقدِّمه من تعب وجهد، وتهدئة قلبه، وتوفير الراحة له، قال ﷺ: **«لا ينظر الله سبحانه وتعالى إلى امرأةٍ لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه»**[٤].

وعن عبد الله بن محصن قال عن عمة له: أنَّها دخلتْ علىٰ رسول الله

---

(١) رواه الترمذي (١١٦٠)، والنسائي في عشرة النساء، ص٨٥.

(٢) فيض القدير (١/ ٣٤٣).

(٣) رواه البزار كما في كشف الأستار (٢/ ١٨١)، وانظره في مجمع الزوائد (٤/ ٣٠٨).

(٤) رواه الحاكم (٢/ ١٩٠ و٤/ ١٧٤)، والبزار كما في كشف الأستار (٢/ ١٧٥)، وانظره في مجمع الزوائد (٤/ ٣٠٩).

ﷺ فقام رسولُ الله ﷺ لبعض الحاجة، فقضى حاجتها، فقال لها رسولُ الله ﷺ: **«أذاتُ زوجٍ أنتِ؟»** قالت: نعم. قال: **«كيف أنتِ له؟»** قالت: ما آلو إلا ما عجزت عنه. فقال رسولُ الله ﷺ: **«انظري أين أنتِ منه؛ فإنه جنّتُكِ ونارُكِ»**(١).

وهذه الطاعةُ من الزوجة لزوجها ضمانٌ لاستمرار الحياة الزوجية، بل ضمان لسعادة هذه الحياة.

(٢) حفظ المال:

مِنْ واجب المرأة أن تحفظ مالَ زوجها، ولا تنفقه دون إذنه ورضاه، فالمالُ حقٌّ قائم للزوج. قال ﷺ: **«لا تُنفق امرأةٌ شيئًا من بيت زوجها إلا بإذنه»** قيل: يا رسول الله، ولا الطعام؟ قال: **«ذلك أفضلُ أموالنا»**(٢).

وقال رسولُ الله ﷺ: **«لا يجوزُ لامرأةٍ عطية إلا بإذن زوجها»**(٣).

وتحافظُ المرأةُ العاقلةُ على ما استودعها زوجها، وجعله تحت يديها، وهذا يستوجب منها ألا تطلب منه المستحيل، أو المال الكثير؛ وذلك لتمنعه عن ارتكاب الحرام، فالمؤمنُ يصبر على الضرّ والجوع، ولكنه لا يصبر على النار، وبذلك تكون المرأة قد صانتْ مالَ زوجها، وحفظته.

وقد أباح رسولُ الله ﷺ للمرأة أن تأخذ من مال زوجها ـ إن قتَّر على أسرته ـ بغير إذنه، بالمعروف، أي: بالقدر الذي عُرِف بالعادة أنه كفاية.

---

(١) رواه النسائي في عشرة النساء، ص٧٦، وأحمد (٤/ ٣٤١)، والحاكم (٢/ ١٨٩)، والبيهقي (٧/ ٢٩١).

(٢) رواه أبو داود (٣٥٦٥)، والترمذي (٦٧٠)، وابن ماجه (٢٢٩٥).

(٣) رواه أحمد (٢/ ١٨٤)، وأبو داود (٣٥٤٦ و٣٥٤٧)، والنسائي (٥/ ٦٥ ـ ٦٦)، وابن ماجه (٢٣٨٨).

فعن عائشة قالت: جاءت هندٌ إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجلٌ ممسك، فهل عليَّ حرج أن أُنفق على عياله بغير إذنه؟ فقال النبي ﷺ: «**لا حرج عليك أن تنفقي عليهم بالمعروف**». وفي رواية: «**خُذي من ماله بالمعروف ما يكفيكِ، ويكفي بنيكِ**»[(١)].

وثمة أحاديث نبوية تفيد حقّ المرأة في التصدق من مال زوجها، فعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أنفقتِ المرأةُ من طعام بيتها؛ غيرَ مفسدةٍ، كان لها أجرُ ما أنفقتْ، وللزوج أجره بما كسب، وللخازن مثلُ ذلك، لا ينقص بعضهم من أجر بعض**»[(٢)].

والمقصود بهذه الصدقة والإنفاق قدرُ ما يُعلم رضا الزوج به في العادة، ونبَّه بالطعام؛ لأنه يُسمح به عادةً بخلاف النقود. والمراد بهذه النفقة أن تُصرف على عيال صاحب المال، ومصالحه، وقاصديه من ضيف وابن سبيل ونحوهما[(٣)].

(٣) تصدُّق المرأة من مالها على زوجها، والصبر عليه إن كان فقيراً:

يحسنُ بالزوجة أن تتصدق بمالها على زوجها إنْ كان فقيراً محتاجًا، حتى لو كان هذا من حُليّها، حيث تكسبُ أجر الصدقة، وثواب صلة الرَّحم.

عن أبي سعيد الخدري قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فِطْر إلى المصلَّى، ثم انصرف، فوعظ الناس، وأمرهم بالصَّدقة، فقال: «**أيُّها الناس**

---

(١) رواه البخاري (٢٢١١)، ومسلم (١٧١٤/ ٧، ٨).

(٢) رواه البخاري (١٤٢٥)، ومسلم (١٠٢٤).

(٣) شرح صحيح مسلم، للنووي (٧/ ١١٣).

تصدَّقوا» فمرَّ على النساء فقال: **«يا معشر النساء تصدَّقن؛ فإن رأيتكنَّ أكثر أهل النار»**. ثم انصرف، فلما صار إلى منزله جاءت زينب امرأة ابن مسعود تستأذنُ عليه، فقيل: يا رسول الله، هذه زينب. فقال: **«أيُّ الزيانب؟»** فقيل: امرأة ابن مسعود. قال: **«نعم، ائذنوا لها»** فأذن لها. قالت: يا نبيَّ الله! إنكَ أمرتَ اليوم بالصَّدقة، وكان عندي حليٌّ لي، فأردتُ أن أتصدَّق بها، فزعم ابنُ مسعود أنه وولده أحقّ مَنْ تصدَّقتُ به عليهم. فقال النبي ﷺ: **«صدَق ابنُ مسعود، زوجُك وولدكِ أحقّ مَنْ تصدَّقتِ به عليهم»**. وفي رواية: **«نعم، ولها أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة»**(١).

وهذا إنْ كانت الزوجةُ تملك مالاً، يمكن أن تتصدَّق به على زوجها الفقير، فإن كانت غير قادرة على ذلك، فعليها أن تصبر على معيشة زوجها، ولا تكلِّفه فوق طاقته، ولا تُطالبه بأكثر مما يحتمل ماديًا. وخيرُ النساء اللواتي صَبَرْنَ على قساوة الحياة، وشظف العيش زوجات النبي ﷺ.

عن عائشة قالت: ما شبع آلُ محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قُبِض(٢).

(٤) عدم إدخال مَنْ يكرهه الزوج إلى المنزل:

وذلك من أجل الحفاظ على شرف الأسرة المسلمة، ورعاية البيت المسلم، وهذا واضحٌ جليٌ من خلال قوله ﷺ: **«لا يحلُّ لامرأةٍ أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره، ولا تخرجُ وهو كاره»**(٣).

---

(١) رواه البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٠).

(٢) رواه البخاري (٦٤٥٥)، ومسلم (٢٩٧٠).

(٣) رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٤/ ٣١٣).

والمرأة الحكيمة لا تسمحُ بدخول أحدٍ إلى منزلها إلا بإذن زوجها من النساء والرجال المحارم، أمَّا الرجال غير المحارم فلا يجوز إدخالهم إلى المنزل والزوج غائبٌ، وإنْ وافق الزوج؛ لأن هذه النقيصة مخالفة للشريعة الإسلامية. أمَّا الأقارب غير المحرمين فينبغي أن يحضر معهم محرم. وقد ذكر ذلك رسولُ الله ﷺ في قوله: «**إيَّاكم والدخول على النساء**»[1].

أمَّا أقارب الزوج كأخيه وابن أخيه وغيرهم، فسمَّاهم ﷺ: الحمو، فقال ﷺ: «**الحمو: الموت**»[2]. وبذلك شبَّه رسولُ الله ﷺ اختلاط هؤلاء الأقارب بالزوجة في حال غياب زوجها، وخلوّهم معها بالموت؛ في الاستقباح والمفسدة.

وهذا الموتُ واقعٌ من خلال وقوع المعصية؛ التي تؤدي إلى الهلاك، أو مِنْ العقوبة التي تؤدي إلى الموت، وأخيراً هلاك المرأة إن طلَّقها زوجُها لشدَّة غَيْرته مما حدث.

عن عمرو بن الأحوص الجشمي قال: حدثني أبي أنه شهد حجّة الوداع مع رسول الله ﷺ فحمد الله، وأثنى عليه، وذكّر، ووعظ... ثم قال: «**ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هُنَّ عوانٍ عندكم، ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك؛ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فَعَلْنَ فاهجروهنَّ في المضاجع، واضربوهنَّ ضربًا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً. ألا إنَّ لكم على نسائكم حقًا، ولنسائكم عليكم حقًا، فأمَّا حقكم على نسائكم فألا يُوطئن فُرُشَكم مَنْ تكرهون، ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون. ألا وحقهنَّ عليكم أن تُحْسِنُوا**

---

(١) رواه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢/ ٢٠ و٢١).

(٢) انظر تخريج الحديث السابق.

إليهنَّ في كسوتهن وطعامهن»[١].

(٥) رعاية المرأة أمور زوجها وخدمته وتدبير منزله:

إنَّ تنظيم الحياة الزوجية يقوم على أنْ يعملَ الرجلُ خارج المنزل ؛ ليؤمن متطلبات العيش الرغيد لزوجه وأولاده ، وللمرأة أعمال المنزل وتربية الأطفال ، وبهذه القسمة العادلة تتحقق السعادة والراحة للبيت المسلم .

وقد ذكر ابن فرح القرطبي أنَّ النبي ﷺ حكَم بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وبين زوجه فاطمة رضي الله عنها حين اشتكيا إليه الخدمة ، فحكم على فاطمة بالخدمة الباطنة خدمة البيت ، وحكم على عليٍّ بالخدمة الظاهرة[٢].

وفي الصحيحين : أنَّ فاطمة أتتِ النبي ﷺ تشكو إليه ما تَلْقى في يَدَيْها من الرَّحى ، وتسأله خادمًا فلم تجدْه ، فذكرت ذلك لعائشة ، فلما جاء رسولُ الله ﷺ أخبرتْه . قال علي : فجاءنا وقد أخذْنا مضاجعَنا ، فذهبنا نقوم ، فقال : **«مكانكما»** فجاء فقعد بيننا حتى وجدتُ بُرْدَ قدميْه على بطني ، فقال : **«ألا أدلكما على ما هو خيرٌ لكما مما سألتما ، إذا أخذتما مضاجعكما فسبِّحا الله ثلاثًا وثلاثين ، واحْمدا ثلاثًا وثلاثين ، وكبِّرا أربعًا وثلاثين ، فهو خيرٌ لكما من خادم»** . قال عليٌّ : فما تركتُها بعد . . قيل : ولا ليلة صِفِّين؟ قال : ولا ليلةَ صِفِّين[٣].

---

(١) رواه الترمذي (١١٦٣) ، وابن ماجه (١٨٥١) .

(٢) انظر كتاب أقضية رسول الله ﷺ ص ٧٢ .

«الخدمة الباطنة» : العجين ، والطبخ ، والفرش ، وكنس البيت ، واستقاء الماء ، وعمل البيت كله .

(٣) رواه البخاري (٥٣٦٢) ، ومسلم (٢٧٢٧) .

وصحَّ عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: كنتُ أخدمُ الزبير خدمةَ البيت كله، وكان له فَرَسٌ، وكنتُ أسوسُه، وكنتُ أحتشُّ له، وأقومُ عليه(١).

وصحَّ عنها أنها كانت تَعْلِفُ فرسَه، وتَسْقي الماءَ، وتَخْرِز الدلو، وتعجن، وتنقلُ النَّوىٰ علىٰ رأسها من أرضٍ له علىٰ ثُلُثي فَرْسَخ(٢).

ما أجمل ذاك المجتمع وأروعه فقد ضرب أحسن الأمثلة في التماسك والسعادة رضي الله عنهم أجمعين.

ثم إنَّ خدمة المرأة لزوجها ولمصالح البيت هو من العُرْف الذي جرىٰ عليه الناس، فلم يكن قيام فاطمة وأسماء بخدمة البيت تبرُّعًا وتطوعًا وإحسانًا، بدليل أن فاطمة كانت تشتكي ما تلقىٰ من الخدمة، ولم يقل ﷺ لعلي: لا خِدْمة عليها، وإنما هي عليك، والنبي ﷺ لا يُحابي في الحكم أحدًا. ولمّا رأىٰ ﷺ أسماءَ والعلفُ علىٰ رأسها لم يقلْ للزبير: لا خِدمةَ عليها، وأن هذا ظلمٌ لها، بل أقَرَّه علىٰ استخدامها، وأقرَّ سائر أصحابه علىٰ استخدام أزواجهم، مع عِلْمه بأنَّ منهن الكارهة والراضية.

قال ابن قيم الجوزية: ولا يصحُّ التفريق بين شريفة ودنيئة، وفقيرة وغنية، فهذه فاطمة ـ رضي الله عنها ـ أشرفُ نساء العالمين كانت تخدم زوجها، وجاءته ﷺ تشكو إليه الخدمة، فلم يُشْكِها.

وقد سمَّىٰ النبي ﷺ المرأة عانية، فقال: «**اتقوا الله في النساء، فإنَّهن**

(١) رواه أحمد (٦/ ٣٥٢).

(٢) رواه أحمد (٦/ ٣٤٧).

عوانٍ عندكم»[١]. والعاني: الأسير، ومرتبةُ الأسير خدمةُ مَنْ هو تحت يده[٢].

فليس هناك أعظم وأسمى مما قاله رسولُ الله ﷺ وإن كانت الشاكية ابنته فاطمة رضي الله عنها، فخدمةُ الزوج أمرٌ حسن، وفاطمةُ قدوة صالحة لجميع نساء المسلمين.

(٦) التزين والظهور بمظهر حَسَن للرجل:

ذكرنا فيما سبق ـ في حقوق الزوجة ـ ضرورة أن يتزيَّن الزوجُ لزوجه؛ ليبدو بأبهى وأجمل صورة للمرأة؛ تلك المخلوقة التي تفيضُ رقة وأنوثة وجمالاً، وهذا ما يحبه كلُّ رجل، ويطلبه من زوجه. ثم إن التزين يجلب الألفة والمحبة بين الزوجين، فالزوجة العاقلة لا تُقصِّر في هذا الأمر، فلا تهمل زينتها.

وهذا لا يعني أن تترك المرأةُ واجباتها؛ لتهتمَّ بشكلها وحده، وإنما القصدُ من ذلك: الحثّ على النظافة والترتيب؛ من ارتداء ملابس جميلة ونظيفة، وتزيين للوجه، وتسريح للشعر.

وما أرقى المرأة التي تتأهَّب لاستقبال زوجها بأبهى مظاهرها من: أناقة، وطلاقة وجه، وابتسامة ثغر؛ فَمَن تصنع ذلك تَنَلْ رضا زوجها، وتظفر بسرور شريك حياتها.

عن كريمة بنت همام قالت لعائشة: ما تقولين يا أم المؤمنين في الحنَّاء؟ فقالت: كان حبيبي ﷺ يُعجبه لونُه، ويكره ريحه، وليس بمحرَّم عليكن بين

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) زاد المعاد، لابن قيِّم الجوزية (٥/ ١٨٨).

كل حيضتين، أو: عند كل حيضة[١].

فمَنْ تتطيب بالرائحة الطيبة لزوجها تَبْقَ ملاذه الدائم، وطمأنينة قلبه، وسرور خاطره.

«وتبدو المرأة العاقلة في بيتها في أحسن حُلَّة، وأجمل منظر، وأعطر رائحة، ولا تألوا جهداً في نظافة بيتها وبَدَنها وأولادها، وتعتبر كلَّ ذلك مرضاةً لله عز وجل، وتحقيقًا للحياة الزوجية السعيدة. فإذا ما خرجتْ من بيتها لشأنٍ من شؤونها، خرجت يخفرها الحياء، والتزمتْ شَرْعَ الله في سَتْر جسمها، فلم تُظْهِرْ منه إلا ما أحلَّ الله لها إظهاره، دون زينة، ودون تعطر، فتمشي وقد تجمَّلت بالسكينة والحياء، فتُحقِّق بذلك رضوان الله عز وجل، وتُبْعِد عنها الفسَّاق والفاسدين»[٢].

وما أجمل البقعة الخضراء من حولها الماء، تتدلى عليها الأغصان، وتُورق الأفنان، وتُسمع تغاريد الطيور بلحنها الفتَّان، وكل ذلك يبعث على السرور، ويُجمِّل الحياةَ بطعم جديد.

والتزيُّنُ لا يعني الإسراف في الإنفاق «فالكحلُ أحسن الحسن، والماء أطيبُ الطيب المفقود»[٣].

وقد أخبر اللهُ عز وجل أن المرأة تهوى الزينة، وتحبُّ التجمُّل، فَتَرْكُ ذلك يُنافي فطرتها، ويُعاند طبيعتها. قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨].

وهذه شهادةُ الخالق المولى العالم بطبيعة المرأة، وما ترنو إليه.

---

(١) رواه أحمد (٦/ ١١٧).

(٢) النظافة، لبديوي والسيد (١٠٦).

(٣) عيون الأشعار وروائع الأفكار، لهشام الحمصي ص(١١٣).

(٧) لا تصوم المرأة النفلَ إلا بإذن زوجها:

إنَّ حقَّ الزوج واجب على المرأة، وهو مقدَّم على بعض العبادات، كصيام النفل، وهو التطوع، وهذا الصيام جعله النبي ﷺ غير حلال للمرأة إن لم يكن بإذن الزوج في حال وجوده وحضوره. فحقُّ الزوج واجب على الفور، فلا يفوته بالتطوع.

قال ﷺ: **«لا يحلُّ للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه»**(١).

وجاءت امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ تشكو زوجها أن يفطرها إذا صامت، ولما سأله النبي ﷺ عن سبب ذلك قال: أنا رجل شابٌ فلا أصبر، عند ذلك قال ﷺ: **«لا تصوم امرأةٌ إلا بإذن زوجها»**(٢).

«فلو سُوِّغ لها الصومُ بغير إذنه لكان ذلك مَنْعًا للزوج من حقّه، فلو شرعتْ في صوم التطوع بغير إذْنه فله أن يُحلِّلها؛ لأن حقَّه مقدَّم على ما شرعت فيه، وكذلك لو أحرمت بالحج والعمرة تطوعًا»(٣).

(٨) انتقال الزوجة مع زوجها:

فصَّل القرآن الكريم مسألة الإقامة في البيوت، فأمر الشارعُ الحكيم أن يُسكن الرجلُ امرأته مما يجد من السكنى، والاستطاعة مرتبطة بالمقدرة المادية والغنى، ولا تجوز المضارَّة، سواء بالتضييق على الزوجة في فسحة المسكن أو مستواه أو في المعاملة فيه. وللزوج حق الإقامة بزوجته معه أينما

---

(١) رواه البخاري (٥١٩٢)، ومسلم (١٠٢٦).

«وزوجها شاهد»: أي: مقيم في البلد.

(٢) رواه أبو داود (٢٤٥٩).

(٣) المفهم شرح صحيح مسلم (٣/ ٦٩).

ذهب أو حلّ. قال عز وجل: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦].

ومن أهم الأمور في الانتقال: ألا يكون للمضارّة بالزوجة، أو وسيلة للضغط عليها من أجل أن يحصل الزوج على شيء منها؛ كأنْ تعطيه شيئًا من مهرها، أو أن تترك شيئًا من نفقتها الواجبة، كما لا يجوز أن يكون المسكنُ غير آمن، فهذا لا يُبيحه الإسلام، ولها عند وقوعه حق الرفض، والقاضي يحكم لها بذلك.

كما يحقُّ للمرأة أن تطلب عند عَقْد الزواج: ألا تسافر مع زوجها إن سافر، وأن يثبت هذا الشرط عند عقد النكاح.

(٩) تأديب المرأة عند عصيانها زوجها:

شرع الإسلامُ الزواجَ استجابة لدوافع الفطرة، وتنظيمها وتطهيرها، علاوةً على الإنجاب وتكثير النسل، فكانت العلاقةُ بين الزوجين تتسم بالاستقرار والاستمرار، وعندها ترتفع العلاقة إلى مستوى العبادة، وتنتظم الارتباطاتُ الزوجية بتكاليف محددة، فيقوم نظامُ البيت على مبدأ القوامة، حَسْمًا للفوضى، وضمانًا لبقاء البيت سالمًا من الاضطراب، خاليًا من النزاع.

ويُوضّح الإسلامُ العلاقة بين الزوجين، فيقول عز وجل: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

فيدعو الشرعُ إلى التريُّث والمصابرة حتى في أحلك الظروف، وأشدّها قتامة، وهذه دعوةٌ إلى إطفاء نيران الشرور والنفور، وليس الطلاق هو الحل الأول، بل لابُدَّ من محاولات تسبقه لتقويم الاعوجاج في حال حصوله،

ورأب الصدع، وإصلاح الشقاق وذلك بمناصحة أهل الحكمة والعلم لعل ذلك يقود إلى خطأ يراه هو صواب ويكون فيه ظالم لزوجته وهو السبب في الشقاق وهذا إن بدر منه فهو الحكمة والعقل.

قال تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٣٤]. ولابدَّ قبل إصلاح حال نشوز الزوجة وعصيانها أن يتبصَّر الزوج في سبب الخلاف بينهما فربما كان الخطأ منه فليس كل ما يتصرفه الزوج صوابًا فربما أخطأ على زوجته فيظن صواب نفسه ولابد في هذه الحالة أن يتبصَّر ويفكر ولا يجزم بصواب نفسه قبل أن يحتمل خطأ نفسه على زوجته.

وتوجِّه الآية الكريمةُ المسلمَ لإصلاح نشوز زوجه ـ في حال وقوعه ـ بثلاثة أمور:

أ ـ **الموعظة الحسنة**؛ وذلك بأن يقوم الزوجُ بتذكير زوجه بما ورد في الشرع الحنيف من تعاليم تؤكد واجبها تجاهه في طاعته، والاستجابة له، وما يجرُّه عصيانُها له من حدوث الطلاق والتفكك في الأسرة، كما يُذكِّرها بأنَّ عصيانها هذا يحرمها من حقوقها كالنفقة، والكسوة، وحُسْن المعاشرة.

والموعظة تهذيب ونُصْح وإرشاد؛ للحفاظ على البيت معافى من الفساد والدمار، ومن المتعارف عليه أن ترتدع الناشز في مثل هذا الحال، وتستشعر غلطتها، فتعود إلى سابق عهدها من اللطف والإيناس، وعدم الانجراف مع الكِبْر والتعالي على الزوج.

ب ـ **الهجر في الفراش**: ولكن الموعظة قد لا تنفع، ولا تجد أُذُنًا صاغية؛ بسبب سيطرة الهوى على المرأة الناشز، وجموح انفعالها العنيف، فقد

تكون مستعليةً بجمالها، أو مالها، أو مركزها الاجتماعي، أو حسبها ونسبها. . . وتتناسىٰ تلك الناشز أنها في بيت فيه رجل يحترمها ويحبها ويقدِّرها، فليس البيت مسرحًا للصراع، ولا حلبة للقتال، وهنا تأتي المرحلةُ الثانية من التأديب، وتتمثل في هجر المرأة في الفراش؛ لأن المضجع إغراء شديد، وجاذبية قوية لكنه لا يكون هجرًا أمام الأولاد؛ لئلا يُورث في نفوسهم الكره والبغض والشرور، ولا هجرًا أمام الغرباء؛ لئلا يستثير مشاعر المرأة، ويحطم كبرياءها وكرامتها، فالمقصود الإصلاح لا الإذلال، والتقريب لا الإفساد، ولمّ الشمل لا التحطيم. ولعل هذه المرحلة تجدي في إصلاح كثيرٍ من النساء؛ لأن المرأة إن أُهملت غَضبت، وإن سُلَّ منها سيف الفتنة، وتعالىٰ الرجلُ علىٰ جاذبيتها، فسرعان ما تعود إلىٰ محجّة الصواب؛ لتحقق جمالها وإغراءها، أمام ثبات الرجل وقوة إرادته.

(ج) الضرب غير المؤذي؛ ففي حال عدم جدوىٰ الهجر في الفراش، يحق للزوج ضرب زوجته وفق المعايير الشرعية ضرب تأديب لا تعذيب. وتُأدبُ المرأة بالسواك لبيان أن المراد منه ليس الضرب ذاته ولذاته ولكن المراد هو التأديب والتأنيب وفيه إبقاء علىٰ حال المودة والرحمة في النفوس التي لابد منها لعلاج الشقاق والله أعلم، والمقصود من هذا الضرب: الإصلاح والتأديب، وليس الأذية والانتقام، أو الإذلال والتحقير، وهو ضرب رفيق لتعود المرأة إلىٰ سابق أمرها، تشارك الرجل مسؤولية بناء البيت وتوجيهه.

عن عبد الله بن زمعة: أنه سمع النبي ﷺ، يخطب، وذكر النساء، فوعظ فيهن، فقال: **«لا يجلد أحدكم امرأته جَلْد العبد، ثم يُجامعها في آخر اليوم»**[1].

---

(١) رواه البخاري (٥٢٠٤)، ومسلم (٢٨٥٥).

وعن إياس بن عبد الله بن أبي ذُبَاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تضربوا إماءَ الله**» فجاءه عُمر، فقال: قد ذَئِرَ النساءَ على أزواجهن، فأذن لهم، فضربوهن، فطاف بآل رسول الله ﷺ نساءٌ كثير، فقال النبي ﷺ: «**لقد طاف بآل محمد ﷺ الليلة سبعون امرأةً، كلهم يشتكين أزواجَهن، ولا تَجِدُ أولئكم خياركم**»[١].

وعن عائشة قالت: ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضرب خادمًا له قط، ولا امرأةً، ولا ضرب بيده شيئًا قط؛ إلا أن يُجاهد في سبيل الله[٢].

وأكَّد ﷺ عدمَ ضرب الوجه أبدًا، فعن معاوية بن حيدة قال: قلتُ يارسول الله، ما حقٌّ زوجة أحدنا عليه؟ قال: «**أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تُقَبِّح، ولا تهجر إلا في البيت**»[٣].

وهناك نساء يرتدعن من نظرة، أو من كلمة، أو من حرمانها من أحد حقوقها، أو من تذكيرها بالأيام الجميلة، أو بأخذها إلى نزهةٍ أو مكان تحبه، أو بشراء هدية لها.. والضرب يكون آخر حلٍّ حال نشوز المرأة، لردّها عن العصيان، وإرجاعها إلى الطاعة.

قال الشوكاني[٤]: إن اكتفى بالتهديد ونحوه كان أفضل، ومهما أمكن

---

(١) رواه أبو داود (٢١٤٦)، وابن ماجه (١٩٨٥).

«ذئر النساء على أزواجهن»: أي: نشزن عليهم، واجترأن.

(٢) رواه مسلم (٧٨، ٧٩)، والترمذي في الشمائل (٣٣١)، وابن ماجه (١٩٨٤)، وأحمد (٦/ ٣١ـ٣٢).

(٣) رواه مسلم (٣٠٧٦)، رواه أحمد (٥/ ٣)، وأبو داود (٢١٤٢)، وابن ماجه (١٨٥٠).

(٤) نيل الأوطار (٤/ ٣٢٥).

الوصولُ إلى الغرض بالإيهام لا يعدل إلى الفعل، لما في وقوع ذلك من النُّفرة المضادة لحسن المعاشرة المطلوبة في الزوجية؛ إلا إذا كان في أمرٍ يتعلق بمعصية الله.

عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ امرأةً له، ولا خادمًا قطُّ، ولا ضرب بيده شيئًا قطُّ إلا في سبيل الله، أو تُنتهك محارم الله، فينتقم لله[(١)].

ثم إنَّ الذي يقرر الإجراءات السابقة إنما هو الله عز وجل، خالق الحياة والأحياء، والعالم بنفوس الناس، وكل تمرُّدٍ على تشريع الخالق؛ يُعرِّض الإيمان لهزَّات عنيفة، ويهدد العلاقات الإنسانية بالتفكك والانفصام.

هذا، وإن كل ما سبق من حديثٍ عن الحقوق والواجبات، يكفل حُسْنَ الرعاية، ويدعم الاستقرار في الأسرة، ويُنشيء الطمأنينة في النفوس، فلا يشقى الرجل، ولا تضيع المرأة[(٢)].

* * *

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (٩١٦٤).

(٢) انظر: الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، ص٤٦.

المبحث الثالث

الدور الحضاري للأسرة المسلمة في بناء الفرد وحياة المجتمع

الأسرة مؤسسة حضارية:

الأسرةُ هي المدرسةُ الأساسية، والمركز الأول الذي يتلقى الإنسانُ فيه علومه ومعارفه الأولى، وهي الصرحُ الأساسي التي يغرسُ فينا التقاليد والعادات الجيِّدة، والأخلاق الحميدة، وهو المعقلُ الذي تنمو فيه مشاعرنا وأحاسيسنا وانفعالاتنا، وتتكوّن فيه شخصيتنا، وتترعرع أفكارنا، أي أنه التربة الأولى لفسيلةٍ غضَّة يانعة، تحتاج لعناية خاصة، ورعاية فريدة حتى تنمو وتنمو لتصبح أجمة وارفة، تكون أصلاً وظلاً لِفَسيلةٍ جديدة.

من هنا، ومن هذه المكانة لهذه الخلية المتميزة نبع اهتمام الإسلام، وكان التوجيه الرفيق الدقيق منذ اللحظة الأولى، إذ أنه لا مجال للتأجيل أو التسويف، ولا يمكن لشيء كهذا أن يُتْرك للمصادفة والأيام.

وقد كان التوجيه يبدأ منذ اللحظة الأولى للتفكير ـ مجرد التفكير ـ ببناء هذه الخلية، يقول عليه الصلاة والسلام: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخُلُقه فزوِّجوه**»[١].

ويقول ﷺ: «**فاظفرْ بذات الدين تَرِبَتْ يداك**»[٢].

(١) رواه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧).

(٢) رواه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

ويقول أيضًا: «اذهبْ فانظر إليها، فإنه أحرى أن يُؤدم بينكما»[(١)].

بُنيت الخلية، وابتدأت الحلقة بالدوران، وحان وقتُ الزرع، فكان التوجيُه والتعليم، وكان الأمرُ بالدعاء والابتهال... وعند الخطوة الأولى: «**اللهم جنِّبنا الشيطان، وجنِّب الشيطان ما رزقتنا**»[(٢)].

ونمت البذرة، وشقَّت طريقها إلى النور، وكان توجيهُ الحبيب المصطفى أن يكون الأذانُ هو النداء الأول الذي يطرق سمع المولود الجديد، وأوضح الإسلامُ بعد كل هذا حقوق الأهل وواجباتهم، وحقوق الأبناء وواجباتهم؛ ليقف كلٌّ على دوره، ويدرك مهامه، فالحلقة متصلة دائرة، وأبناء اليوم هم آباء الغد، وصغار اليوم هم كبار المستقبل وأمهات الغد القادم.

حقوق الأبناء:

لقد خطَّ الإسلامُ لحقوق الأبناء منحيين:

أولهما: جانب الرحمة والرأفة والعطف، وهو الجانبُ الذي يمنح الطفل توازنه النفسي والعاطفي والعقلي.

فالطفل - أي طفل - يحتاجُ إلى صدر دافئ يركن إليه، ويد حانية تمسح رأسه، وكلمة رقيقة تدغدغ سمعه، أو قُبلة صغيرة تداعب وجنتيه، ولا يمكن لِلُعبة رائعة، أو سرير وثير، أو غرفة تتلألأ بالأضواء والهدايا؛ أن تمنح هذا الطفل ما هو بحاجة إليه، بعيدًا عن حضن الأم الدافئ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رأى الأقرعُ بن حابس النبي ﷺ يُقبِّل

---

(١) رواه الترمذي (١٠٨٧)، والنسائي (٦/ ٦٩ - ٧٠)، وابن ماجه (١٨٦٥).

(٢) رواه البخاري (٥١٦٥)، ومسلم (١٤٣٤).

ولده الحسن، فقال له: إنَّ لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ واحداً منهم، فقال عليه الصلاة والسلام: **«من لا يَرْحم لا يُرْحم»**[١].

ما علاقة الرحمة بالقبلة تطبعها على وجه ولدك؟ وهل تفي القبلة وحدها بحاجة هذا الكائن الغضِّ الرهيف؟

إن تلبية الحاجات كلها من مأكل ومشرب ومسكن وغذاء فكري، وفوقها المداعبة والملاعبة، وحتى القُبلة، تُعتبر جميعها من الضرورات، بل جزءاً من حقوق الطفل المترتبة على أبويه، وبالتالي فتحقيقها، أو حتى السعي إلى تحقيقها جزء من واجبات الآباء تجاه أبنائهم، وبالموازنة فيما بينها جميعًا ننشيء طفلاً سليمًا، وندفع للمجتمع ببرعم صالح يعتمد عليه.

ثانيهما: جانب التربية والتأديب والتنشئة الصالحة؛ وهو الجانبُ الذي يمنح الطفلَ توازنه الاجتماعي، ويجعل منه شخصًا متزنًا متوازنًا صالحًا، يعرف كيف يحاكم الأمور كلها، ويزنها بميزان دقيق لا ريبة فيه، فالحقُّ في منظاره واضح بيِّن جليّ، والباطل كذلك، يعرف ماله وما عليه تجاه نفسه، وتجاه أهله، وتجاه الآخرين، ولكي يكون هذا على أَتَمِّه، وأنصع وجوهه، يتوجب على الآباء أن يلزموا أبناءهم، ويُؤدِّبوهم، وأن يراقبوا تصرفاتهم وسلوكياتهم، ويحرصوا على عدم اتباعه للتقاليد والعادات الممجوجة الغريبة، وألا يتركوا أمر توجيههم إلى مَنْ لا يُحسن ذلك مثل مربية أو خادمة أو سائق فضرر ذلك واقع لا يخفى وما نتج عنه سلبيات رأينا آثارها في مجتمعاتنا خاصة عندما تكون الخادمة غير مسلمة أو السائق كذلك لما فيه من الخطر على عقيدة الطفل وسلوكه، وألا يلقوا الأمر برمَّته على رياض الأطفال ودور الحضانة، وأن يساعدوهم في انتقاء أقرانهم وأصدقائهم.

---

(١) رواه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).

يقول الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام: **«مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير»**(١).

يمكن للناظر أن يلمح في هذين المنحيين من حقوق الأبناء دور الأب والأم، والذي لا يمكن أن يقوم به أشخاصٌ آخرون، ويدرك تمامًا أن لا بديلَ أبدًا يمكن أن يأخذ دورهما، فلا المربية، ولا الجليسة، ولا رياض الأطفال، ولا المدارس بمقدورها أن تمنح المجتمعَ الكبير طفلاً سليمًا معافىً في بدنه وعقله وسلوكه بمعزل تام عن دور فاعلٍ لأب وأم.

يقول علي رضي الله عنه: ثلاثة هي أفضل ما يورثه الآباء الأبناء: الثناء الحسن، والأدب الصالح، والإخوان الثقات.

تلك هي الخطوطُ العريضة، والملامحُ الواسعة لواجبات الآباء والأمهات تجاه أبنائهم، ولاشك أن في مقابل ذلك حقوقًا لا يمكن لعاقل أو منصف أن ينكرها.

حقوق الوالدين:

فالأم ـ ذلك الكائن الذي جُبِلَ على الحنان، وأُشرب الرأفة والعطف ـ قد حملتنا في أحشائها تسعة أشهر سعيدة بذلك، راضية على الرغم مما تقاسيه من آلام، وما تتكبده من مصاعب، ووضعتنا بعد هذا، واحتملت في سبيل ذلك آلامًا لا تطاق، وعذابًا لا يُوصف.

وعلى الرغم من هذا الألم وذاك العذاب فإنها تتابع الرحلة مباشرة، وتلقم صغيرها الضعيف صدرها لتبثّه حنانها، وترضعه لبنها، وهي لا تقفُ في ذلك عند حدّ، ولا تتأخر أبدًا ـ ومهما كبر وليدها ـ عن أمر تشعر أنه يريحه ويرضيه.

---

(١) رواه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨).

أما الأب فإنه وبرغم أنه لا يملك حنان الأم وعواطفها، إلا أنه لا يملُّ في سعيه وكَدّه ليؤمِّن لنا كل ما نحتاجه، وحتى قبل أن نطلبه.

فالأب والأم - كل أبٍ وأم - هذا شأنهما، يبذلان كلَّ غال لديهما، ولا ينتظران مقابل ذلك أي شيء، ولا يفكران عند عطائهما بأي شكر أو جزاء.

أي تضحية تلك؟ بل أي بذل هذا؟!

أي عطاء أسمى، بل أي نفيسٍ أغلى من عرق ودم وسهر وتعب؟!

لهذا كان تركيزُ الإسلام على طاعة الوالدين، وبرّهما، ورعايتهما، والعناية بهما؛ ولهذا لم يقرن اللهُ عز وجل مع عبادته وشكره إلا الإحسان إلى الوالدين، وشكرهما، والبر بهما، يقول تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]، ويقول سبحانه: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤].

وها هو رسول الله ﷺ يوضِّح أن جزاء البر بالوالدين، والعناية بهما يكاد يفوق جزاء المجاهد في سبيل الله، فقد جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال له: «**أحيٌّ والداك؟**» قال: نعم؛ قال: «**ففيهما فجاهِدْ**»(١).

فرسولُ الله يأمره أن يَدَعَ الجهاد في سبيل الله ليقوم على العناية بأبوين؛ طالما أعطياه دون حساب، ورعياه بغير انتظار لمثوبة أو شكر، فهل بعد هذا التكريم تكريم؟! وهل بعد هذه المنزلة من منزلة؟!

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف**» قيل: مَنْ يا رسول الله؟! قال: «**من أدرك أبويه عند الكبر**

---

(١) رواه البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩).

أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة»(١).

بِرُّ الأبوين إذًا هو طريقُ الجنة، ولا يقتصر برُّ الأبوين على قُبلة تُطبع على اليد أو الرأس، أو كلمة لطيفة، أو ابتسامة عريضة، بل هو أشمل من ذلك، وأعم، وأكبر من ذلك، وأوسع، يقول عليه الصلاة والسلام لرجل جاء يشكو أباه لأنه يأخذ من ماله الخاص: «**أنت ومالك لأبيك**»(٢).

نعم أنت أيها المسلم، وليس مالك وحسب... ولقد كان قولُ الشاعر التالي دليلاً على مكانة الأب، وضرورة حُسْن معاملة الأبناء له:

غذوتُك مولودًا وعِلْتُك يافعًا ... تُعَلُّ بما أدني إليك وتنهلُ
إذا ليلة نابَتْكَ بالسّقم لم أبتْ ... لسقمك إلا ساهرًا أتململُ
كأني أنا المطروقُ دونك بالذي ... طُرقت به دوني فعيني تهملُ
تخاف الردى نفسي عليك وإنها ... لتعلمُ أن الموت وقتٌ مؤجلُ
فلما بلغتَ السن والغاية التي ... إليها مدى ما كنتُ فيك أُؤَمّل
جعلتَ جزائي غلظةً وفظاظةً ... كأنك أنت المنعمُ المتفضِّلُ
فليتك إذ لم ترْعَ حقَّ أبوتي ... فعلتَ كما الجارُ المصاقبُ يفعلُ
فأوليتني حق الجوار ولم تكنْ ... عليَّ بمالٍ دون مالك تبخلُ

إن هذا التوازن الرائع الذي خطَّه الإسلامُ للأسرة، وحدَّد فيه كلَّ مالَهُ وما عليه؛ لَكَفيل بأن يُنشي مجتمعا كبيراً متكاملاً متكاتفًا، تكون الأسرةُ

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥١)، والبخاري في الأدب المفرد (٢١).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٢١٤)، وابن ماجه (٢٢٩٢).

هي المثال المصغَّر منه، والعينة المثالية فيه.

الأساليب التربوية في الإسلام:

لكي نصل إلىٰ العينة المثالية ـ إن صحَّ التعبير ـ علينا أن نفصِّل بعض الشيء في الأساليب التربوية التي يتوجَّب علىٰ الآباء أن يتبعوها في تربية أبنائهم؛ ليكون أبناؤهم علىٰ الصورة التي رسمها الله عز وجل للمفلح الناجي. قال عز وجل: ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨].

إن التربية في الإسلام فريدة وشاملة، فهي الوحيدة التي تتميز بوضوح الطريق والهدف معًا، وهي الوحيدة أيضًا التي تشمل جوانب الإنسان كله: روحه، وعقله، وجسمه.

وهي فوق كل هذا تتميز عن المناهج التربوية الأخرىٰ بوجود نموذج تطبيقي حي، ألا وهو شخصُ رسول الله ﷺ.

إن الإسلام يسعىٰ إلىٰ تكوين الإنسان المؤمن الصالح بكل جوانبه، ولا يترك هذا الأمر مجرد شعارات، ولكنه يُحدِّد صفات الإنسان الصالح ومواصفاته وبدقة، فهو التقي الذي يتوجَّه بكل سلوكياته وأعماله وتصرفاته لإرضاء الله عز وجل، وهو الذي يتبع هدي الله وهدي رسوله، ويستمدُّ منهما جليلَ الأمور ودقيقها في حياته وسلوكه.

إن الإسلام ينظر إلىٰ الإنسان ككل، ويحاول تأمين مطالب كل جانب من جوانبه، وطاقاته، علىٰ اعتبار أنه مكوَّن من جسم وعقل وروح، لا انفصال بينها، علىٰ الرغم من أنه قد يطغىٰ بعضها علىٰ البعض الآخر في لحظات معينة، فللأمور المحسوسة غذاؤها، وكذلك الأمر فيما هو فوق

إدراك هذه الحواس القاصرة، فلا المادة تطغىٰ علىٰ الروح، ولا الروح يمكن لها أن تأخذ نصيبَ الجانب المادي.

هذا التوازن المتميز في الإسلام بين مختلف الجوانب، وهذا المزجُ الرائع بين طاقات الإنسان الجسمية والعقلية والروحية، يضمنُ لنا استغلال طاقاته كلها، ويحقق لنا توازنًا دقيقًا في نفس الإنسان بشكل خاص، وفي المجتمع برمَّته بشكل عام.

وقد اعتمد الإسلامُ لتحقيق هذا أساليب كثيرة، وطرقًا شتىٰ، وسلك في سبيل الوصول إلىٰ الإنسان الصالح منافذ كثيرة، فكانت هناك الموعظة، والنصيحة، والقصة، والعبرة، والعقوبة، وما إلىٰ ذلك.

١ ـ التربية بالقدوة:

إن الارتباط الوثيق بين الطفل ووالديه له أثر بالغ في حياة الطفل، فمنهما يستقي تصوراته ومبادئه وموازينه وقيمه وطرق تفكيره وتحليله، فإن كان سلوك الأبوين يشكلّ ترجمة لما يحملون من أفكار، وكانت تصرفاتهما تنبع من التزام دقيق بشرع الله عز وجل في كل شيء، بدءاً من ملاعبته ومداعبته، وانتهاء بكل معلومة يوصلانها إليه؛ بما يوافق سِنّه، تحوّل المنهج إلىٰ حقيقة واقعة، وبالتالي تكون التنشئة سليمة صحيحة.

وقد أشار اللهُ عز وجل إلىٰ ضرورة تفهُّم هذا الأسلوب عندما بعث رسوله عليه الصلاة والسلام ليكون قدوة للناس، قال عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقد سُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خُلُق رسول الله فقالت:

«إنَّ خُلُقَ نبيِّ الله ﷺ كان القرآن»[١].

عبارة تصفُ شخصَ الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكنها تؤكد على أن هذا الدين كله بأوامره ونواهيه، وحلاله وحرامه كان ممثلاً في شخص الرسول، وقد صدق القائلُ إذ قال: «كان قرآنًا يمشي على الأرض».

فقد كان زوجًا وأبًا كمن لا يشغله عن أهله شيء، وكان رجل سياسة لا يُشَقُّ له غبار... كان في الحرب أشجع الشجعان، وكان في العبادة أعبد الناس وأزهد الزهاد... كان كله للدعوة، ولم يكن لأصحابه وأهله صديق قريب لهم مثله... كان القدوة للناس في هذه الأرض، وكان الهادي لهم بسلوكه قبل كلامه.

وهذا يدلُّ دلالة قاطعة على أن القدوة من أعظم وسائل التربية على الإطلاق، فالطفل لابُدَّ له من قدوة في أسرته لكي يتشرب مبادئ الإسلام منذ طفولته، ومن هنا كان على الأبوين أن يكونا القدوة لصغارهم في القول والعمل؛ لأن هذا الأسلوب أشد فعالية، وأكبر تأثيرًا في ترسيخ ما نريد في أذهان أطفالنا، وينمُّ عن إيمانٍ عميق بما نقول، وهو فوق هذا يجنبنا الكثير من مواقع الأمر والنهي، ويوصل إليهم ما نريد بشكل أدق وأجدى.

إن الولد الذي يرى الكذب من أبويه، لا يمكن له أن يتعلَّم الصدق، والفتاة التي تلمح الاستهتار في تصرفات أمها، لا يمكن لها أن تدرك معنى العفة، والطفل الذي يرى أبويه يشخصان بأبصارهما إلى منظر فاحش في التلفاز، لا يمكن له أن يتعلم كيف يغضّ بصره، والولد الذي يرى أباه يغشُّ في متجره وعمله، لا يمكن له أن يتعلَّم الأمانة.

---

(١) رواه مسلم (٧٤٦).

إن الأسرة هي المكانُ الأول الذي يبذرُ في الطفل أول بذوره، ويكيِّف بتصرفاته سلوك الطفل ومشاعره، والطفل يأخذ ما يدورُ أمامه من تصرفات أمه وأبيه على أنه الحق، والتصرف السليم؛ لذا كان على الأبوين أن يَزِنا كل تصرف من تصرفاتهما، وكل قول من أقوالهما، ويتصرفا بكل عدل ومساواة في تعاملهم مع أولادهم، ضمن نطاق الأسرة؛ لأن الأسرة ـ كما أسلفنا ـ هي المجتمع الأول الذي يعيشُ فيه الطفل، ويتفاعل معه، وهو يرقبُ بدقة كلَّ ما يجري من حوله، فإن كان هناك تمييز ومفاضلة بين الأولاد، كان هناك البغض بدل الحب، وكانت هناك الأنانية بدل الأثرة، وقد أوضح هذا رسولُ الله ﷺ إذ قال: **«اتقوا الله، واعدلوا في أولادكم»**[1].

فالتقوى توافق العدل وتجاريه، وعدم العدل أو التمييز بين الأولاد يبعد صفة التقوى.

جاء النعمان بن بشير إلى رسول الله ﷺ وقال له: «إني نحلتُ ابني غلامًا كان لي» فقال رسول الله ﷺ: **«أكلّ ولدك نَحلْتَهُ مثل هذا؟»** قال: لا. فقال: **«لا تشهدني على جَوْرٍ»**[2].

والمساواة أو العدل لا تشملُ الجانب المادي فقط، بل تشمل كل الجوانب حتى العاطفي منها؛ لِما لذلك من أثر على نفسية الطفل وسلوكه الاجتماعي مع إخوته والآخرين في المستقبل.

ويتوجَّب فوق هذا على الأبوين أن يدركا ضرورة توحيد سلوكهما تجاه تصرفات أبنائهما؛ إذ أنَّ لكل طفل رغبات وحاجات، وهو غالبًا يميلُ إلى

---

(١) رواه البخاري (٢٥٨٧)، ومسلم (١٣/ ١٦٢٣).

(٢) رواه البخاري (٢٥٨٦)، ومسلم (٩/ ١٦٢٣).

من يُلبِّي له حاجاته ورغباته، أو يداريه، ويتجاوز عن أخطائه.

وفي هذا خطرٌ كبير على سلوك الطفل، إذ أن اختلافَ ردود فعل الأبوين، وتباين تصرفاتهما تجاه أمر ما، يساعدُ الطفل على تحكيم رغباته، ويفقده دقة الحكم على الأمور.

وعلى العكس من ذلك فإن اتفاق الأبوين يُعزِّز ثقة الطفل بأبويه، ويؤكِّد له صدق رأيهما، وسلامة توجيههما.

كما أنه يحافظُ بهذا على توازنه العاطفي تجاه أمه وأبيه، فلا تزيد كفّة أحدهما عنده عن كفة الآخر، ويجعل هذا في الغالب من الطفل إنسانًا سويًا متوازنًا حازمًا ناجحًا.

إن الطفل يُسجِّل كل ما يرى ويسمع، وعندما يكون سلوكُ الأب والأم مجانبًا للقيم العامة، والأخلاق الكريمة، فإن توجيههما لأطفالهما بما يغاير سلوكهما؛ لن يلقى القبول لدى هؤلاء الصغار، فصدور الكلمات النابية عن الأبوين؛ ستجعل الأطفال يتلفَّظون بها، ولو زجرهم أهلوهم.

إذًا لابد من أن يرفد القدوة في السلوك عند الآباء تمسُّكٌ حازم بالأخلاق العامة، وحرصٌ شديد على أن توافق تصرفاتهم أقوالهم وتوجيهاتهم.

٢ ـ التربية بالموعظة:

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ

خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير (١٦) يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور (١٧) ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور (١٨) واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ [لقمان: ١٣ ـ ١٩].

على الرغم من أهمية القدوة كأسلوب في التربية، إلا أنها بحاجة إلى أساليب أخرى ترفدها، والموعظة والنصح تشكّل جزءاً مهمًا من العملية التربوية، وخصوصًا إذا كانت في المكان المناسب والتوقيت الملائم، وذلك لأن النفس جُبلت على التأثر بكلام الآخرين، وخصوصًا إذا ما تمَّ تقديمُ هذه الموعظة بأسلوب سهل رقيق، يسهل فهمه وتقبُّله.

فالموعظةُ المؤثرة التي يستطيع صاحبُها أن يلامس بها الأوتار الحساسة في قلوب المستمعين وعقولهم، تسلك طريقها إلى النفس مباشرة، فتهزها هزاً، وتثير الوجدان في أعماقها، وتدفع العقل إلى التفكير والتدبر، فتعيد التائه إلى صوابه، وتزيد الصالح التقي العاقل تعقلاً وتقى وصلاحًا.

قد يغضُّ الأبوان بصرهما عن المحارم المزروعة هنا وهناك، ولكن الطفل قد يتابعها، ويحرص على تصيّدها بدافع تقليد أقرانه على سبيل المثال.

وقد يكون الأبوان صادقين في كلامهما، ووعودهما، وتعهداتهما، ولكن الطفل قد يجنحُ إلى الكذب ليخفي ما اقترفه من ذنوب؛ لأنه لا بُدَّ مع القدوة الصالحة من موعظة لطيفة مؤثرة، تعيد الأمور إلى نصابها وترجع المخطئ العاصي إلى جادّة الصَّواب.

وقد أشار الله عز وجل إلىٰ ضرورة هذا الأسلوب في مواضع كثيرة من القرآن، فقال تعالىٰ: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال أيضًا في وصف القرآن ككل: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

فالموعظةُ رديفُ القدوة، وهي المحرِّض اللطيف لمن فاته إدراك المطلوب من خلال القدوة الصالحة.

٣ ـ التربية بالعقوبة:

إن النفسَ تملكُ الكثير من ملامح الجسم المادي، فالرفقُ المفرط بها، والتدليل الزائد لها، وعدم إقحامها في عزائم الأمور؛ يؤدي إلىٰ الميوعة والانحراف.

تمامًا كما الجسم، فالرفقُ الزائد به، وعدم إخضاعه للجهد والمشقة خشية التعب؛ أو الإرهاق، تجعل منه جسمًا مهلهلاً ضعيفًا، غير قادر علىٰ احتمال حتىٰ أهون الصعاب، وأتفهها.

من هنا كان لأبدَّ من اللجوء إلىٰ شيء من الحزم في التعامل مع الأطفال كلما اقتضت الضرورة، وذلك لصالحهم قبل أن يكون لصالح ذويهم، إذ أنَّ الرقة المفرطة، والحنان الزائد، واللطف المبالغ فيه، لن يُنشيء إلا شخصًا ضعيفًا، لا يقدر أن يقوم بذاته، ولا يمكن له أن يعتمد علىٰ نفسه.

وقد لا تنفع الأساليب التربوية السابقة مع بعض الأطفال، فالبعض لا تتركُ فيه القدوة الصالحة الأثرَ المطلوب، ولا يزيده الوعظ إلا إمعانًا في غيِّه، وشروده، وتمرده، ومثل هؤلاء هم بأمسٍّ الحاجة لأسلوب العقوبة علىٰ

أخطائهم؛ لأن تجاهلهم، أو مجاراتهم في انحرافاتهم، وتلمُّس الأعذار لهم، سيزيدهم بعدًا فوق بعدهم عن الاستقامة، وسواء السبيل، وسيضعف نفوسهم أكثر وأكثر؛ ليصبحوا فيما بعد عاجزين عن ضبط مشاعرهم وشهواتهم.

يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩].

دعوةٌ للتقوى والالتزام بشرع الله، وإلا فالبديل هو حربٌ من الله ورسوله.

ويقول أيضًا: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور: ٢].

التوجيهُ بدايةً كان ـ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ﴾ [الإسراء: ٣٢] ـ مجرد نصح؛ لأن الزنى سبيلٌ سيء لإشباع الشهوة، وطريق غير مأمون، ولكن مَنْ غلبته نفسه، ووقع فيما حرم الله، وَجَبَ عليه أن يشعر بطعم العقوبة في جسده؛ لتكون له ذكرى إن أغوته نفسه مرة أخرى.

٤ ـ التربية بالقصة:

إن القصة بكل اتجاهاتها وأنواعها التاريخية منها أو الواقعية أو الخيالية، تملك تأثيرًا خاصًا على المستمع أو القارئ، فهي تشدّه إلى أحداثها، وتزجّه في خضمها؛ ليتابع مشاهدها، وينظر إلى شخوصها، يتفاعل معهم، ويتخيل تصرفاتهم وردود أفعالهم؛ ليصل إلى نهايتها، فيوافق على فعل هذا، ويستحسن تصرُّف هذا، ويستنكر فعل هذا.

إذًا فللقصة وقعٌ خاصٌ في العقول والنفوس، حيث إنها تزرع الحياة في أشخاصها، وترسم ملامحهم وتصرفاتهم وأفكارهم، وتنقلهم من عالمهم إلى عالمنا؛ لتترك ـ من خلال ما كان بينهم من تصرفات وأحاديث وأفكار ـ العبرةَ والتوجيهَ والتعليم.

إن الله عز وجل قد خَلَق الإنسان بهذا التكوين، وفطره على أشياء، لا يستطيع الفكاك منها، وهو العليم بهذا الكائن، ما يُخيفه وما يهدئ من روعه، وما يُحَفِزُهُ وما يُقْعِدُه، وما يُحبه وما يَكْرهُهُ، وما يميل إليه وما ينفر منه.

وقد بثَّ اللهُ عز وجل في كتابه الكريم قصصًا شتى؛ كقصص الأنبياء التاريخية، والقصص الواقعية، والقصص الرمزية التي تشير إلى شيء ما، أو أمر كان فيا مضى، ويمكن أن يكون في أي زمان أو مكان؛ كقصة ولدي آدم، وقصة صاحب الجنتين وما إلى ذلك من قصص منثورة في أرجاء القرآن كله[(١)].

إن القرآن الكريم ـ ومن خلال اتباعه لهذا المنهج ـ لَيَدُلّ على أهمية القصة كأسلوب توجيهي بشكل عام، وعلى الدور التربوي الذي تؤديه بشكل خاص، فالقرآنُ ليس بكتاب قصص، ولكنه كتاب تربية وتوجيه.

إن الطفل على وجه الخصوص تستهويه القصة إلى حدٍّ بعيد، وتراه يلحّ بشكل مستمر على المحيطين به ليحكوا له القصة تلو القصة، وتراه يسأل ويسأل ليشبع رغبة المعرفة لديه.

---

(١) يُنظر كتاب: «قصص القرآن» لمحمد أحمد جاد المولى ورفاقه.

وهنا يأتي دورُ الأهل، ويبرز مقدارُ وعيهم في تقديم المادة الصالحة، والمعلومة المفيدة، وتقع على عاتقهم مسؤولية الانتقاء والمفاضلة والتمييز بين قصة وأخرى.

ولا يتوقف الأمر في وقتنا الحالي على ما نرويه نحن، أو ما نقدمه بأنفسنا، فهناك التلفاز والمذياع والمدرسة والأقران؛ لذا وَجَب على الأهل أن يقوموا بمراقبة كل المصادر، وما يقدم فيها، ومدى موافقتها لأفكارٍ نودّ غرسها في نفوس أطفالنا، أو مطابقتها لمعتقداتنا، وأخلاقياتنا، وعاداتنا، لكي لا نفاجأ يومًا بتصرفات أولادنا، أو نُصْدم بسلوكياتهم وأفكارهم وآرائهم وحتى معتقداتهم.

وتكمن أهميةُ القصة كأسلوب تربوي بأنها توصلُ الموعظة إلى المستمع، أو القارئ، أو المشاهد بأسلوب سلس رقيق، ومن خلال شخوص مجسمة متحركة، فهي أسهلُ في المتابعة من موعظة مجردة، وكلمة نصح عابرة.

* * *

الفصل الثاني

المبحث الأول

الأسرة المسلمة والتحديات العقدية والفكرية:

المطلب الأول: أهمية التوحيد وحفظ جنابه في مواجهة التحديات العقدية والفكرية:

لاشك أن الأسرة المسلمة مطالبة بمعرفة العقيدة الصَّحيحة التي هي الأساسُ الذي يقوم عليه الدين وتَصحُّ معه الأعمال، كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣].

فدلّت هذه الآيات الكريمة، وما جاء بمعناها، وهو كثير، على أن الأعمال لا تُقبلُ إلا إذا كانت خالصة من الشرك، ومن ثَمَّ كان اهتمام الرسل ـ صلواتُ الله وسلامه عليهم ـ بإصلاح العقيدة أولاً، فأول ما يدعون أقوامهم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وكلُّ رسول يقول أول ما يخاطب قومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥] قالها نوح وهود وصالح وشعيب، وسائر الأنبياء لقومهم.

وقد بقي النبي ﷺ في مكة بعد البعثة ثلاثةَ عشرَ عامًا يدعو الناس إلى التوحيد، وإصلاح العقيدة؛ لأنها الأساسُ الذي يقوم عليه بناءُ الدين. وقد احتذى الدعاة والمصلحون في كل زمان حذو الأنبياء والمرسلين، فكانوا يبدءون بالدعوة إلى التوحيد، وإصلاح العقيدة، ثم يتجهون بعد ذلك إلى الأمر ببقية أوامر الدين.

والعقيدة الصحيحة من أهم الواجبات التي يجب على الأسرة المسلمة معرفتها والاهتمام بها لمواجهة التحديات المعاصرة.

والتوحيد الذي أنزله الله في كتبه، وبعث به رسله، وخلق من أجله الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] هو أشرف العلوم، وأجلّها على الإطلاق، وإلى هذا المعنى يشير العلامة ابن القيم رحمه الله بقوله: «... فحاجتهم إليه فوق جميع الحاجات وضرورتهم إليه مقدمة على جميع الضرورات؛ فإنه لا حياة للقلوب، ولا نعيم، ولا لذة، ولا سرور، ولا أمان، ولا طمأنينة، إلا بأن تعرف ربها، ومعبودها، وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقر بها إليه ويدنيها من مرضاته...»(١).

---

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ١/ ١٥٠، تحقيق: د. علي الدخيل الله.

للتوحيد خصائص على سائر العلوم لابد للأسرة المسلمة استشعارها، منها:

أولاً: أن مصدره الوحي الإلهي: الكتاب والسنة، فلا يعبد الله إلا بما شرع.

ثانيًا: أنَّ أول واجب على المكلف هو النطق بالشهادتين، وكذا هو آخر واجب كما قال تعالى: ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴾[الحجر: ٩٩]، وقال ﷺ: «**من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة**»[١].

ثالثًا: أن مفتاح دعوة الرسل عليهم السلام هو الدعوة إلى توحيد الله وحده؛ قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

رابعًا: أنه الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع؛ ولهذا سمى الإمام أبوحنيفة رحمه الله ما قاله، وجمعه في أوراق من أصول الدين بالفقه الأكبر[٢].

خامسًا: أنه يعصم الدم والمال والعرض، فلا تحصل السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة إلا به؛ قال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل: ٩٧].

سادسًا: من خصائص التوحيد أن سائر الأعمال متوقفة عليه؛ قبولاً وردًا، صلاحًا وفسادًا؛ قال تعالى: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ [الكهف: ١١٠].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث معاذ ١/ ٥٠٠، وقال: صحيح الإسناد على شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٢) الفقه الأكبر في التوحيد للإمام أبي حنيفة (ص٢).

هذه بعض خصائص التوحيد، أما فضائل التوحيد، وفوائده، فهي كثيرة جداً، وقد تتبعها الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله فذكر جملة طيبة من هذه الفضائل، ومنها:

* **فضائله:**

أولاً: أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة، ودفع عقوبتهما.

ثانياً: من أجلِّ فوائده، أنه يمنع الخلود في النار، إذا كان في القلب منه مثقال حبة خردل.

ثالثاً: أنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية.

رابعاً: يحصل لصاحبه الهدى الكامل، والأمن التام في الدنيا والآخرة.

خامساً: هو السبب الوحيد لنيل رضا الله، وثوابه. وأسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ **«من قال: لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه»**[1].

وأطال رحمه الله في تعداد فضائل التوحيد[2].

ثم لتعلم الأسرة المسلمة أن تحقيق التوحيد وفضائله، وآثاره الحميدة لا تحصل بالتمني، ولا بالتحلي، ولكن بما وقر في القلب وصدقه عمل الجوارح، وذلك لا يكون إلا بالشروط التالية:

١ ـ السلامة من الشرك بجميع أنواعه؛ وذلك لا يكون إلا بتحقيق العبادة لله وحده، بجميع أنواعها.

(١) رواه البخاري ح(٩٩).

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله ص١٦ـ ١٩.

٢ ـ السلامة من البدع بجميع أشكالها؛ وهذا لا يتحقق إلا بمتابعة الرسول ﷺ وحده.

٣ ـ السلامة من الذنوب والمعاصي بالبعد عنها، وعدم اقترافها، وبالتوبة منها عند الوقوع فيها(١).

المطلب الثاني: العولمة وتحدياتها على الأسرة المسلمة:

إن العولمة مشروع استعماري أمريكي يعتمد ليبرالية رأسمالية متوحشة، والعولمة بكلمات هي مشروع تسلط أمريكي وهيمنة على الثقافات والفكر والأنماط الاجتماعية ونهب للاقتصاد، وهي غير العالمية التي هي انفتاح وتبادل في الإنتاج الفكري والعلمي واحترام لخصوصيات الشعوب.

فالعولمة تطرح تحديًا فكريًا سلوكية وأنظمة اقتصادية وبنى ثقافية تناقض منظومة القيم والمعايير الأخلاقية والقيمية التي تشكل الموجِّهات والضوابط لمسار الحركة الحضارية لأمتنا.

إن الأسرة المسلمة في نظام قيمنا ذات المنطلقات الإيمانية، لأن بلادنا مهد رسالات السماء، يختلف واقعها جذريًا عن نمط الأسرة التي تدعو لها العولمة/ الأمركة.

حتى إن الإعلام العالمي لحقوق الإنسان الصادر في ١٠/ ١٢/ ١٩٤٨م لم يحترم التشريع الخاص بالزواج كمكوِّن أساسي للأسرة لما يزيد عن مليار وثلاثمائة مليون مسلم في العالم حين نص في المادة السادسة عشرة في البند الأول منها على ما يلي: «للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج، حق التزوج وتأسيس أسرة دون أي قيد بسبب الجنس أو الدين، ولهما حقوق متساوية

---

(١) القول السديد، ص٢٠.

عند الزواج وأثناء قيامه وعند انحلاله» .

إن عقـد الزواج في الإسلام له أركان ولإتمامه شـروط، والزواج مع اختلاف الدين له قواعد، وجاءت فيه نصوص، وهذا كله لا يتناسب معه ما ورد في هذه المادة وهو ما تتمسك به عولمة أمريكا تحت ستار حقوق الإنسان .

كما إن عولمة أمريكا ذهبت أكثر من ذلك في اتجاهها الإفسادي للأسرة والمعادي للدين حين بدأت مسيرتها من خلال مؤتمر السكان في القاهرة في العام ١٩٩٤م، ومؤتمر المرأة في بكين في العام ١٩٩٥م حيث كان ماتم التركيز عليه دعوات لمحاربة العفة وتشريع للمعاشرة بين الرجل والمرأة قبل الزواج وبدون زواج، وسعي لإباحة الإجهاض وإشاعة المثلية في العلاقات الجنسية وما شابه ذلك من أنواع الشذوذ، ويومها وقفت مؤسسات وجهات عديدة لردع هذا الخطر الآتي من خلال إباحية تدعو لها العولمة/ الأمركة، وفي طليعة من واجهوا هذا الطرح الإفسادي المرجعيات الدينية الإسلامية والنصرانية .

وتعمل العولمة/ الأمركة لأمر آخر هو سيادة فلسفة الاستهلاك عند الشعوب والأمم، وبالتالي يريدون تحويل كل دول العالم إلى سوق استهلاكية لمنتجاتهم ومنجم التجارة العالية وتجاوز الحدود القومية والخصوصيات في كل دولة ونظام، وهذا أمر يفرض على الأسرة المسلمة تحديًا فكريًا وتربويًا، لأن الإعلام يخصص إعلانه لهذه الفلسفة وهذا يشكل عبئًا ماديًا يجبر أفراد الأسرة المسلمة على البحث عن مصادر للمال وزيادة ساعات العمل، وذلك يخفف من قدرة الوالدين والأم خصوصًا على التوجيه والإعداد كما أنه

يقلل فرص اللقاء بين أفراد الأسرة المسلمة، وينتج عن ذلك ضعف الروابط والأواصر بين أفراد الأسرة المسلمة.

وإذا راجعنا ما تتركه مطاعم الوجبات السريعة من أثر على سوية الناشئة الذين لا ينعمون بدفء العاطفة عند تناول طعامهم، ويكون لذلك مردود على عوامل التأثر والتأثير تربويًا، زد على ذلك ما ينشأ من علاقات مؤذية ومدمرة للقيم الإسلامية في رحاب هذه الملتقيات العشوائية.

وتنشر العولمة/ الأمركة ثقافة هابطة من خلال أفلام هوليوود بشقها المتحلل من الأخلاق والقيم، أو بشقها الذي ينشر ثقافة العصابات وأفلام الكاوبوي، أو بما أنتجته وفيه تجاوز وتعدٍّ على العرب والمسلمين حيث أظهرتهم ثقافة هوليوود المنحازة على أنهم مصدر الإرهاب ومحور الشر، كما أن ثقافة العولمة/ الأمركة منحطة فكريًا حيث تعمل لنشر كل ما يحرك الغرائز والشهوات وذلك كي تستقطب الدهماء من الناس، لأن هؤلاء قد يتقنون المقارنة والتمحيص ولا يستطيعون كشف الأبعاد والنوايا، وهذه حال العامة في الغالب.

إن متطلبات الحياة التي تغالي في الاستهلاك مع المكننة قلّصت دخل الرجال، وزادت من حالات خروج النساء إلى سوق العمل لتوفير ما تحتاجه الأسرة، وهذا الأمر حمل المرأة أعباء على حساب دورها في الأسرة المسلمة.

وفي دراسة عنوانها: «أصوات الفقر: صيحة للتغيير»؛ أعدها ديبان نارايان وآخرون، صدرت عن مركز الأهرام بالعربية يقول في هذا الموضوع:

«تمر أدوار الرجال والنساء بتغييرات كبرىٰ تخلق القلاقل علىٰ المستوىٰ الأسري. ففي كثير من الحالات تلقي بطالة الذكور والشدائد الاقتصادية المتزايدة بمسؤوليات أكبر علىٰ عاتق النساء تتمثل في التماس فرص عمل مدفوع الأجر. وتجد بعض النساء أن دخلهن المتزايد يساعد علىٰ زيادة سلطتهن في اتخاذ القرارات في محيط الأسرة. . . وتتحدث النساء عن أعباء العمل الثقيلة التي يتحملنها من خلال إضافة مسؤوليات اكتساب الرزق إلىٰ واجباتهن المنزلية».

إن هذه النتيجة تحمل إشارات مهمة توجه إلىٰ ضرورة استدعاء أسس للتعامل وقواعد تستطيع التوفيق بين عمل المرأة في المؤسسات وأداء دورها للكسب بدافع الحاجة أو حتىٰ تطوعًا، وبين دورها الرئيسي في الأسرة إن عمل المرأة لابد أن يضبط بضوابط شرعية تحافظ علىٰ حشمتها وعفتها وألا يكون وقت عملها له تأثير يزاحم أعمالها الأساسية في التربية الأسرية وهذا العمل نادر الحصول إلا في حال ـ العزوبة وعدم وجود الزوج والأولاد علمًا أنه كان في زمن هارون الرشيد ثمانين إمرأة تعمل في الطب ومعالجة أمراض النساء ـ كما جاء في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي وتاريخ دمشق لابن عساكر فقد حدد الشرع مسار العمل في المعركة حال الضرورة والبيت والعلم وغير ذلك مع مراعاة ـ ضوابط الشرع الحنيف، كي لا يحصل الخلل في الأسرة المسلمة مع الوافد الفكري تحت ضغط العولمة أو من أي مصدر آخر، وعندما تشترك المرأة في الإنتاج لا داعي للافتراض أن تبادلاً في الأدوار سيحصل وأن المرأة ستطالب بسلطة القرار لمجرد أنها تنتج اقتصاديًا، لأن العودة إلىٰ الوراء إلىٰ مجتمع الزراعة والرعي والصيد والتجارة قبل التصنيع المتطور تبيِّن لنا أن المرأة ما كانت في أية مرحلة إلا شريكة في العملية

الاقتصادية، وهذا يشكل الرد العلمي والمنطقي على من يحرضون الرجال والنساء على بعضهم لمجرد أن المرأة شريكة في سوق العمل، وكأن هذه الشراكة لم تكن من قبل» وفي هذا مجانبة للحقيقة.

المطلب الثالث: الغزو الفكري وتحدياته على الأسرة المسلمة:

لم يقتصر الاستعمار الغربي على الغزو المادي المسلَّح ضد المسلمين، بل استخدم الغزو الفكري والنفسي والخُلُقي عن طريق أُجرائه؛ الذين قاموا بدور خبيث في تحطيم الأسرة المسلمة، وتحويلها إلى سلعة، تحت ستارٍ كثيف من المبادىء الإنسانية، وأثاروا الشبهات؛ لإفساد الدين والقيم. وكان هذا الغزو الفكري له أخطار فادحة؛ لأنه أفسد المفاهيم، وأوجد مزالق خطيرة، وهزَّ النفوس من الأعماق، وأنشأ مشكلات كبرى، وتعاونت في ذلك أجنحةُ المكر: الاستشراق والتبشير والاستعمار بأنواعه وأشكاله، ومن ورائهم الصهيونية العالمية، ودسائسها، وكيدها.

وكان العداءُ واضحًا، والصراع ممتدًا بين الحق والباطل على مدى أزمان وأعوام، وهو صراع مستمر، لا يخفى على أحد، حيث يستخدم فيه الأعداء كل ما يملكون للصد عن سبيل الله تعالى، ولن يرضوا دون تحقيق هذا المطلب. قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال عز وجل: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

«وكانت الحملاتُ الصليبية بداية غزو مادي سياسي اقتصادي ضد المسلمين، عبر محاولةٍ لإخراج الذين آمنوا عن دينهم، والانتقام من

تماسكهم وتعاضدهم، ولكن الله سبحانه ردَّ كيد المعتدين بعد جهادٍ طويل تحت قيادة صلاح الدين الأيوبي، حيث دَفَع غاراتهم، وهاجم حصونهم وقلاعهم، وكان أعظم انتصار له على الصليبيين «يوم حطين» ثم افتتاح القدس سنة (٥٨٣هـ).

فأيقن الصليبيون أن المسلمين مهما عانوا من الضعف والتفرق والتمزق، فلن يستطيع أحد أن يستمر في الاعتداء عليهم، والنيل منهم؛ فسرعان ما تجتمع القوى، ويُرأب الصدع، وتكون الكرة لهم، ففكَّر الأعداءُ بغزو جديد؛ يحققون مبتغاهم من خلاله، وكان لهم ذلك عن طريق الاستشراق وغيره»[١].

«وأُطْلِق الاستشراقُ على الدراسات التي قام بها غير الشرقيين لعلوم الشرقيين، ولغاتهم، وأديانهم، وتاريخهم، وأوضاعهم الاجتماعية، ونحو ذلك»[٢].

وكان للمستشرقين وسائل كثيرة لتحقيق أهدافهم، وبثِّ آرائهم، ومنها: تأليف الكتب في موضوعات مختلفة حول الإسلام وتاريخ المسلمين ومجتمعاتهم، وهنا قاموا بالتحريف والتشويه والتضليل، ونأوا عن الأمانة العلمية في بحوثهم وتفسيراتهم واستنباطاتهم. كذلك قاموا بإصدار المجلات، ونشروا فيها بحوثهم حول الإسلام والمسلمين، وألقوا المحاضرات، ودسُّوا فيها سموم أقوالهم وتفكيرهم، فحققوا أهدافًا رسموها، وغايات أرادوا الوصول إليها. كما أنشؤوا «الموسوعة الإسلامية»

---

(١) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، لعلي جريشة ومحمد الزيبق ص(١٦).

(٢) أجنحة المكر الثلاثة، لعبد الرحمن حبنكة ص(٨٣).

وفيها السم في الدسم، ومن المخزي أنَّ كثيراً من الباحثين المسلمين يعتبرونها مرجعًا موثوقًا، وحجة قوية، مع أنها تتهاوىٰ في كثير من الآراء والموضوعات تحت مطارق البحث، وسندان الحقائق.

وتعاون الاستعمار مع الاستشراق في بثّ الضلالات الفكرية، وإفساد المفاهيم، وتحريف الضوابط، وفكّ الروابط الاجتماعية، وربط المسلمين ـ ذكرانهم وإناثهم ـ بقيود ضاغطة من الشهوات، وحرية الأهواء، والحديث عن التقدم وشروطه ووسائله، فإذا بالنفوس الضعيفة تجد مُتنفَّسًا لها في عادةٍ جانحة، أو سلوك شائن، أو رغبة جامحة، أو شهوة ضاغطة، أو الجري وراء مفهوم منحرف عن جادة الحق، ومنهج الصواب والفضيلة.

وبثَّ الاستعمارُ وعملاؤه التضليل الفكري في المدارس، والمعاهد العلمية، والجامعات، والأندية، ومراكز التوجيه والإرشاد، والجمعيات علىٰ اختلاف مستوياتها وأنواعها، وعشَّش في وسائل الإعلام، وكانت له كتبٌ وصحف ومجلات.

إضافةً إلىٰ ذلك فإن الغزو الفكري امتلك من أدوات العبث النفسي شيئًا كثيراً، فتلاعب بالعواطف، وهزَّ المشاعر من الأعماق، وضرب علىٰ الأوتار الحسَّاسة، وآثر استغلال الشعوب، والتجمعات الغوغائية؛ ليبثَّ سمومه، ويستثمر دراساته، فيردّد الآخرون مقالاته وهتافاته، فإذا بالاتجاه الشعبي يصفق طويلاً للأصداء النفسية المنبعثة من الذات، ومن مكنوناتها، وهنا يأخذ المغرضون أدوارهم المرسومة، ويقودون الغوغاء إلىٰ ميدان فتنةٍ لا تُبقي ولا تذر، حيثِ يتمُّ نَسْج خيوط المؤامرة ضد المسلمين، والعمل علىٰ تقويض الروابط الأسرية، وامتصاص إمكانيات المرأة في معركةٍ، الخاسر الوحيد فيها هو المرأة والرجل علىٰ حدٍّ سواء، فإذا بالأسرة المسلمة تتهدم، والعلاقات تتقطع.

وعندما يقعُ الذكر والأنثى في شباك الشهوات، ويترنحون في مستنقعات اللذات والمغريات، فإنهم يقاطعون الحق والفضيلة، وينحرفون عن الخير إلى الشر، وهنا يأتي دور المغرضين وأجنحة المكر العدائي للمسلمين؛ ليزيِّنوا طريق الشرور والمفاسد، ويغوون الناس للمصالحة مع العبثية، والانزلاق، والمفاتن، والمغريات بصورة تدريجية، فإذا بهم يستمرئون تلبية نداء الشهوة، ونزغة الشيطان والهوى والنفس. وكما قال المتنبي:

مَنْ يَهُنْ يَسْهَلِ الهوانُ عليه ... ما لِجُرْحٍ بميِّتٍ إيلامُ[1]

«وكانت حبائلُ التلاعب كثيرة، ومنها: حبائل الإفساد عن طريق النساء، ببثِّ العاريات الفاسدات في المجتمعات العامة، وتسهيل الاختلاط بهنَّ؛ دون أيِّ ضوابط دينية أو خُلُقية؛ حتى تصبح المجتمعات الإسلامية مفتوحة لكل وارد من واردات الإفساد»[2].

لقد حرَّض أعداءُ الإسلام المرأة تحريضًا خاصًّا، فأثاروا الشبهات في وجهها، وجعلوها تُعلِّق الآمال على الفكر الجديد، المفعم بالسموم والكذب والغش والتحايل، وهذا المنفذ أعطى نتائج مذهلة، وأفرز تلقُّفًا غير متوقع حتى من قِبَل المخططين. وكانت الصهيونية العالمية لها دور كبير في نصب الشباك، وإيهام الآخرين، وتلقين السُّذَّج مفاهيم ضالة، وأفكارًا عَفِنة.

جاء في البروتوكول التاسع من «بروتوكولات حكماء صهيون»: «ولقد خدعنا الجيل الناشيء من الأمميين، وجعلناه فاسدًا متعفنًا؛ بما علَّمناه من

(١) ديوان المتنبي (٤/ ٢١٧).
(٢) أجنحة المكر الثلاثة (١٧٣).

مبادئ ونظريات، ومعروفٌ لدينا زيفها التام، ولكننا نحن أنفسنا الملقِّنون لها»(١).

الغزو الفكري للمرأة المسلمة:

إن المتتبع للغزو الفكري للمرأة المسلمة يجد أن هذا الغزو يرتبط بالاستعمار الصليبي، وسقوط الخلافة العثمانية، وتجزُّؤ الدول الإسلامية إلى دول وإمارات، فقد سبق لتركيا أن اختلطت بالأجانب، واطلعت على إنتاجهم الفكري، والتمدن الجديد، وقامت محاولات للمناداة بحرية المرأة، سطَّرها يراعُ أحمد فارس الشِّدْيَاق (ت١٣٠٤هـ ـ ١٨٨٧م) وهو عالم باللغة والأدب، وُلِد في قرية عشقوت بلبنان، وأبواه نصرانيان مارونيان، سمَّياه فارسًا، ورحل إلى مصر، فتلقى الأدب عن علمائها، ورحل إلى مالطة، فأدار فيها أعمال المطبعة الأميركانية، وتنقل في أوروبة، ثم سافر إلى تونس فأعلن فيها الدين الإسلامي، وتسمَّى «أحمد فارس» فدُعي إلى الآستانة، فأقام بضع سنوات، ثم أصدر بها جريدة الجوائب سنة (١٢٧٧هـ) فعاشت (٢٣) سنة(٢).

وقام أحمد فارس الشِّدْياق بالمناداة بحرية المرأة على صفحات «الجوائب».

وفي عهد محمد علي باشا، تمَّ إرسال البعثات الطلابية؛ لتلتقي الخبرات والمهارات الفنية في فرنسا، فعادت تلك البعثات تحمل في جعبتها أفكارًا ليست من الإسلام، وهي منقولة من الكتب التي شاهدوها هناك، وما صاحبها من قلق وثورة واضطراب، واحتل أولئك القادمون مراكز قيادة

(١) بروتوكولات حكماء صهيون، ص١٤٧.

(٢) الاعلام، للزركلي (١/ ١٩٣).

ذات أهمية، فنشروا أفكارهم المستوردة، ومنها أفكار: فولتير، وروسو، ومونتسكيو.

وكان من ضمن تلك البعثات: رِفَاعة الطَّهطَاويّ (١٢٩٠هـ - ١٨٧٣م)، وقد أرسلته الحكومة المصرية إمامًا للصلاة والوعظ، فدرس الفرنسية، وثقف الجغرافية والتاريخ، ولما عاد إلى مصر ولي رئاسة الترجمة في المدرسة الطبية، وأنشأ جريدة «الوقائع المصرية» وألَّف وترجم عن الفرنسية كتبًا كثيرة[1].

وكتب رفاعة الطهطاوي آراء مستوحاة من الفكر الفرنسي، والمجتمع الأوروبي، وسواء كتب ذلك عن سوء قصد أو حسن توجّه، فإنه وَضَع البذور لتحرير المرأة، من خلال الدعوة والجرأة في مواقف وقضايا نسوية، كتعدد الزوجات، وتحديد الطلاق، واختلاط الجنسين، ومما قاله:

«إن وقوعَ اللخبطة[2] بالنسبة لعفة النساء لا تأتي من كشفهن أو سترهن، بل منشأ ذلك التربية الجيدة أو الخسيسة»[3].

وكتب الطهطاوي كتابين حَشَر فيهما آراءه التحررية، وهما: «مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية» و«المرشد الأمين للبنات والبنين».

---

(١) الأعلام، للزركلي (٣/ ٢٩).

(٢) هذه لفظة عامية. وقد سبق لرفاعة الطهطاوي أن كتب كتابًا سمَّاه: «أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل» سنة ١٨٦٨م، وعقد فيه فصلاً ذكر فيه فضل العربية ووجوب إحيائها، ولكنه ضمَّنه دعوةً إلى استعمال العامية، بَيْدَ أن هذه الدعوة لم تلق سميعًا ولا مجيبًا، وذهبتْ أدراجَ الرياح. انظر: أباطيل وأسمار لمحمود محمد شاكر ص١٥٩ - ١٦٠.

(٣) تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص٣٠٥.

وهو ينفي أن يكون الاختلاطُ والتبرج داعيًا إلىٰ الفساد، أو الغواية، يقول: «ولا يظن بهم ـ أي: الفرنسيين ـ أنهم لعدم غَيْرتهم علىٰ نسائهم لا عِرْضَ لهم؛ لأنهم وإن فقدوا الغَيْرة، لكنهم مع ذلك إذا علموا شيئًا مهينًا كانوا شرَّ الناس عليه، وعلىٰ مَنْ خانهم، وعلىٰ أنفسهم، وإن كانت المحصنات لا يخشىٰ عليهن شيئًا، وغاية الأمر: أنهم يُخطئون في تسليم القياد للنساء»[١].

ودافع الطهطاوي عن الرقص بين الرجال والنساء، وذلك حين وصف محلاً للرقص يُسمَّىٰ «البال» فقال: «يتعلق بالرقص كلُّ الناس في فرنسا، وكأنه نوعٌ من العياقة والشلبنة ـ أي: الأناقة والفتوة ـ لا الفسق، فلذلك كان الرقص دائمًا غير خارج عن قوانين الحياء؛ بخلاف الرقص في مصر؛ فإنه من خصوصيات النساء لتهييج الشهوات، أما في باريس فإنه غير مخصوص، لا يُشتمُّ منه رائحة العهر أبدًا»[٢].

أمَّا كتاب «المرشد الأمين للبنات والبنين» للطهطاوي، فيتحدث فيه عن قدرة المرأة علىٰ تعاطي أعمال الرجال، يقول:

«يمكن للمرأة ـ عند اقتضاء الحال ـ أن تتعاطىٰ الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال، علىٰ قدر قوتها وطاقتها، فكل ما يطيقه النساء من العمل يُباشرنه بأنفسهن، وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة؛ فإنَّ فراغ أيديهن عن العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل، وقلوبهن بالأهواء، وافتعال الأقاويل، فالعملُ يصون المرأة عما لا يليق، ويُقرِّبها من الفضيلة»[٣].

---

(١) المصدر السابق، ص٣٠٤.

(٢) المصدر السابق، ص١٦٨.

(٣) المرشد الأمين، ص١٦٦.

وفي موضع آخر من الكتاب المذكور، تعرَّض رفاعة الطَّهْطاوي لقضية تعدد الزوجات، فدافع عن الزوجة الواحدة دفاعًا مستميتًا، وكأنه يرفض التعدد.

وهكذا كان الطهطاوي من الأوائل الذين تحدَّثوا عن حرية المرأة، وخروجها للعمل مع الرجال جنبًا إلى جنب، وجاء بآراء مثيرة للجدل، والمناقشة، وفيها جرأة على الدين والأحكام الشرعية.

ثم جاء قاسم أمين، وهو رأس الفتنة، وداعية السفور العلني، والذي بدأ حياته مدافعًا عن الحجاب، فردَّ على أحد المؤلِّفين في كتابه «المصريون» سنة (١٨٩٤م)، واستنكر قاسم أمين تشبُّه بعض المصريين بنساء أوربة في السفور والاختلاط بالرجال.

ثم ارتدَّ قاسم أمين على عقبيه، ورجع القهقري بأفكاره، فكتب بعد خمس سنوات، أي في عام (١٨٩٩م) كتابه «تحرير المرأة».

ولو أردنا التعرف على شخصية هذا الكاتب، لرأيناه ضالعًا من مفرق رأسه إلى أخمص قدمه في قضية الخروج عن تعاليم الإسلام، ومناهضة النصوص النقلية القطعية، حتى إن شاعرًا كبيرًا، كأحمد شوقي، حار في فَهْم ما صنعه قاسم أمين «أهو غيرةُ المدافع عن النصوص الإسلامية، أم هو إغارة المحرِّف لها عن مواضعها»[1] فقال:

وَلكَ البيانُ الجَزْلُ في	أثنائه العلمُ الغزيرْ
في مطلبٍ خَشِنٍ كثيـ	ـرٌ في مَزَالقِه العُثورْ
ما بالكتابِ ولا الحديـ	ـثِ إذا ذكَرْتَهما نَكيرْ
حتى لَنَسْأَلُ: هل تغا	رُ على العقائد أم تُغيرْ[2]؟!

(١) حصوننا مهددة من داخلها، للدكتور محمد محمد حسن، ص١١٦.

(٢) [illegible] (٣/ ١٦٨).

وقالت ـ شاعرة العراق المسلمة ـ:

أتطلبون من الفتاة سفورها

حسنًا ولكن أين بينكم التقي

ولعلَّ أوضح تعريف لشخصية قاسم أمين ما نشرته جريدة الجمهورية في عددها الصادر في (٢٠/ ٤/ ١٩٧٨م) في الذكرى السبعين لوفاته، إذ جاء فيها:

«تحليل شخصية قاسم أمين:

كان أول مَنْ أنصف قاسم أمين صديقه سعد زغلول، وهو الذي أحيا ذكرى قاسم أمين حين تولى وزارة التعليم، دون أي ضجة، وذلك بافتتاح عددٍ من مدارس البنات. ولمّا تولى سعد زغلول زعامة الشعب في عام (١٩١٩م) اشترط على السيدات اللواتي يحضرن لسماع خطبه أن يزحن النقاب. وكانت هذه أول مرحلةٍ عمليةٍ للسفور».

وتقول جريدة أخبار اليوم، في عددها الصادر في (١٣/ ٩/ ١٩٦٩م):

«إن قاسم أمين فيما بين حصوله على إجازة الحقوق سنة (١٨٨١م) وبين إخراجه لكتابه تحرير المرأة سنة (١٨٨٩م) كان قد مرَّ بأحداث هادئة، على عكس الأحداث الضخمة التي عاشها في مصر، ففي خلال تلك السنوات تعرَّف قاسم أمين على جمال الدين الأفغاني في باريس، ومحمد عبده، وسعد زغلول».

وهؤلاء الثلاثة ـ الأفغاني وعبده وزغلول ـ معروفون بانتمائهم للماسونية. أما الأفغاني فنشرت مجلة الإخاء الإيرانية في العدد (٤٥٠) في ١٨ أيلول (مايو) ١٩٧٦م؛ صورة طلبٍ لجمال الدين الأفغاني يريد منه

الانتماء إلى المجمع الماسوني. وكان ذلك في (٢٢) ربيع الثاني سنة (١٢٩٢هـ).

وكذلك كان محمد عبده كأستاذه الأفغاني، إذ دخل المحفل الماسوني البريطاني، ثم غادره إلى المحفل الشرقي الفرنساوي، ثم ساهم مع أستاذه في تكوين الحزب الوطني الحر؛ الذي كان واجهةً للمحفل الماسوني، وبهذا فإنَّ الأستاذ محمد عبده كان ماسونيًا[1].

وسعد زغلول كان ماسونيًا، فقد نشرت مجلة المصور في عددها الخاص الصادر في (٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٧م) بعد وفاة زغلول؛ صورة الجنازة تحت عنوان: «الأمة والحكومة تشيعان الفقيد العظيم». وتحت الصورة مباشرة كُتبت العبارة التالية: «وفد البنائين الأحرار ـ الماسون ـ في تشييع جنازة الزعيم الكبير، وكان قطبًا من أقطاب الماسونية».

وجاء في جريدة المقطم قريب من هذا، في عددها الصادر يوم الجمعة في (٢٦ أغسطس سنة ١٩٢٧م).

وهذه النصوص تؤكد التقارب الفكري بين قاسم أمين وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وسعد زغلول، وهي لا تحتاج إلى تعليق، فخير الكلام ما قلَّ ودلَّ.

وثمة رأي مفاده أن قاسم أمين لم يكن الرأس المدبِّر، بل كان الرأس المنفذ لقضية تحرير المرأة، بحيث شاركت جهات دينية وسياسية ـ كما ذكر الدكتور محمد عمارة ـ في تأليف كتاب «تحرير المرأة» فقال الدكتور عمارة: «والرأي الذي أُؤمن به، والذي نبع من الدراسة لهذه القصة، هو: أن هذا الكتاب إنما جاء ثمرةً لعمل مشترك بين كلٍّ من الشيخ محمد عبده وقاسم

---

(١) شهادات ماسونية، لحسين حمادة، ص٨٣.

أمين، وأنَّ في هذا الكتاب عدة فصول قد كتبها الأستاذ الإمام وحده، وعدة فصول أخرىٰ كتبها قاسم أمين»[١].

أما دعمُ هذا الكتاب من الناحية السياسية فلسعد زغلول دور كبير، وكذلك نازلي فاضل ـ حفيدة إبراهيم باشا ـ كما شاركها في ذلك هدىٰ شعراوي[٢]، وغيرهم كثير.

وكل هذه الرؤوس المدبِّرة هي في حقيقتها أدوات منفِّذة في يد المستعمر الخبيث؛ الذي قام بتشويه أفكار هذه الفئة من المسلمين، وجعلهم أدوات هدم وتخريب في المجتمع المسلم[٣].

وترجع بداية المؤامرة علىٰ الأسرة المسلمة إلىٰ كتاب ظهر في مصر سنة (١٨٨٤م) لمحام مصري قبطي يُدعىٰ «مُرْقُس فَهْمي» (ت١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م) وقد تخرج في كلية «إكس» الفرنسية، وألَّف كتابه «المرأة في الشرق»[٤].

وفي هذا الكتاب حُدِّدت خطة الاستعمار ـ وكان مُرْقُس فَهْمي صديقًا للُّورد كرومر ومواليًا له ـ وتطالب تلك الخطة بما يلي:

أولاً: القضاء علىٰ الحجاب الإسلامي.

ثانيًا: إباحة الاختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب عنها.

ثالثًا: تقييد الطلاق، ووجوب وقوعه أمام القاضي.

---

(١) الأعمال الكاملة لقاسم أمين، ص١٣٨.

(٢) هي أول مصرية رفعت الحجاب. الأعلام، للزركلي (٨/ ٧٩).

(٣) المرأة المسلمة المعاصرة، للدكتور أحمد أبابطين، ص٣٧٣.

(٤) الأعلام (٧/ ٢٠٤).

رابعًا: منع الزواج بأكثر من واحدة.

خامسًا: إباحة الزواج بين المسلمات وغير المسلمين[1].

وبعد خمس سنوات صدر كتاب «تحرير المرأة» لقاسم أمين، وهو يتناول أربع مسائل، هي: الحجاب، واشتغال المرأة بالشؤون العامة، وتعدد الزوجات، والطلاق. وكان في كل مسألة يتبع الفكر الغربي، طارحًا الشرع الإسلامي، بل زاعمًا أن ما ذهب إليه هو الإسلام في ذاته. ودعا في آخر الكتاب بصراحة إلى تقليد الحضارة الغربية، واتباع أساليبها، فقال بعد أن ذكر إعجاب المسلمين والمصريين بالماضي:

«هذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه، وليس له دواء إلا أننا نُربِّي أولادنا على أن يتعرَّفوا شؤون المدنية الغربية، ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها، إذا أتى ذلك الحين - ونرجو ألا يكون بعيدًا - انجلت الحقيقةُ أمام أعيننا ساطعةً سطوع الشمس، وعرفنا قيمة التمدُّن الغربي، وتيقنّا أنه من المستحيل أن يتمَّ إصلاح ما في أحوالنا، إذا لم يكن مُؤسَّسًا على العلوم العصرية الحديثة. وإن أحوال الإنسان مهما اختلفت، وسواء كانت مادية أو أدبية خاضعة لسلطة العلم؛ لهذا نرى أن الأمم المتمدنة على اختلافها في الجنس واللغة والوطن والدين متشابهة تشابهًا عظيمًا؛ في شكل حكوماتها، وإدارتها، ومحاكمها، ونظام عائلتها، وطرق تربيتها، ولغاتها، وكتابتها، ومبانيها، وطرقها، بل في كثير من العادات البسيطة كالملبس والتحية والأكل، هذا هو الذي جعلنا نضرب الأمثال بالأوربيين، ونشيد بتقليدهم، وحَمَلَنا على أن نستلفتَ الأنظارَ إلى المرأة الأوربية».

---

(١) الأخوات المسلمات، ص٢٤٥.

وبعد سبع سنوات من صدور كتاب «تحرير المرأة» وقبل وفاة قاسم أمين بسنة ونصف، أي عام (١٩٠٦م) تراجع المؤلف عن آرائه السابقة، في حديثٍ له لصحيفة «الظاهر» التي كان يصدرها محمد أبو شادي المحامي، فأعلن قاسم أمين عن بطلان أقواله السابقة، وأنها ضلال وغيّ، وبيّن أنه كان مخطئًا في دعوته إلى تحرير المرأة.

والجدير بالذكر أن هذه الأقوال جاءت بعد زوال اللورد كرومر، وانطفاء نفوذ نازلي فاضل، فتغيرت الظروف، لذا تغيرت الأقوال!!

ولكن دُعاة تحرير المرأة، ووكلاء الغزو الفكري للإسلام، دافعوا عن دعوة قاسم أمين، واعتبروها أنها الأصلح للمجتمعات، وأمسك أذنابُ الاستعمار بأقلامهم، وتابعوا خوض المعركة، وتوزَّعوا الأدوار، كل في مجاله، وميدانه.

واستطاعت حركة «تحرير المرأة» أن تستقطب كثيراً من الدعاة، والكتبة، والمأجورين، فحققت أهدافها في قطاعات عريضة، ومجالات مختلفة، وأحدثتْ تشويهًا لصورة المرأة المسلمة، وانقلابًا في مفاهيمها الفكرية والخُلُقية والسلوكية.

والمتأمل في المجتمعات يجد أن الحواجز بين الذكر والأنثى قد انهارت، فما أشبه الجميع ببحرٍ هائج، أمواجه مضطربة، وتحيط به براكين هادرة، أكثرها قد خرجت منه الحمم، وبعضها ينتظر إتاحة الفرصة، بينما باطنه يغلي ويفور.

كذلك فإن الأخلاق الأصيلة قد نُزِعت من نفوس الناس، وحلَّ محلّها الأدب المكشوف، والفكر المادي، حتى أصبح حديثُ الجنس، وكُتُبه، وقصصه؛ في المحل الأرقى من أحاديث الناس، واهتماماتهم، ونَبَذَ بعض

منهم فكرة الزواج؛ إذ وَجَدُوا في الحرام بديلاً سهلاً، فانتكستِ النفوس، وغَلَت المراجل، وصار كثير من الشباب يمضون حياتهم في اللهو والفراغ والتسلية والغواية والانحراف.

وابتعدت أُسرٌ كثيرة عن مفاهيم الإسلام، فعمَّت الفوضى، وانتشر الاضطراب في الفكر والعمل؛ تحت بريق التحضر، ونَيْل المنى بيسر وسهولة، وكم سمعنا عن حالات الطلاق والتشرد والانحرافات السلوكية، والوَهَن النفسي، والتخلي عن مسؤوليات البيت، والجري بلهاث متلاحق خلف الجنس!!

واستمرت المؤامرة على الأسرة المسلمة في العصر الحديث؛ لاقتلاع المجتمع الإسلامي وقيمه من الجذور، بدعوى إعطاء المرأة حرِّيتها، وإقناعها أن الرجل يهضم حقوقها، ويغتصب مبدأ المساواة معها، فهو الثعلب الماكر، والقاسي القلب، فلابُدَّ للمرأة أن تخرج من إسار استبداده[1].

(١) الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، ص٢٩٦.

الفصل الثالث

المبحث الأول

الأسرة المسلمة ومواجهة تحدي الخلافات الزوجية

تلك الأسرة التي قررت أن تسلك الطريق الصحيح مهما يعقب هذا القرار من نتائج، إنها تواجه تحديات، لأن الثبات على هذا الطريق لابد له من نتائج أو عواقب، ذلك لأن هذا الطريق ليس مفروشًا بالورود، إنما هو طريق صعب، ولكن نهايته السعادة الخالدة التي لا تفنى أبدًا، كما يقول رسولنا ﷺ: **«ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»** ويقول في رواية مسلم: **«حُفت الجنة بالمكاره، وحُفت النار بالشهوات»**[1] فمن طلب الجنة فلابد له من التعب في أثناء الطريق إليها، والصبر والثبات لكي يستحق نيل هذه السلعة الغالية.

الخلافات الزوجية ومنشؤها عدة أمور منها:

١ ـ عدم إعطاء أي من الاثنين حقوق الآخر:

مثال ذلك عدم طاعة المرأة لزوجها، والرسول ﷺ يقول: **«لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، لما له من حق عليها»**.

٢ ـ الإكثار من المطالبة بالنفقة بأكثر من حقها:

فترهق بذلك الزوج، لأنها تريد أن تكون مثل الأخريات، حيث المال

---

(١) انظر: صحيح مسلم، ح(٥٢١).

والذهب والملابس الكثيرة والتنزه المستمر وغيرها من الأمور، وهذا يشكل إرهاقًا للزوج يجعله ربما يتأفف، أو ربما يبلغ به الغضب أن يقول الكلمة المكروهة، والتي تكرهها كل زوجة تريد أن تستر على نفسها وتعيش حياة فاضلة.

٣ ـ عدم حُسن العشرة:

فكثير من الأزواج لا يحسنون العشرة مع زوجاتهم، فيعاملونهن معاملة الأمة المملوكة، يتصرف أحدهم بها كيف يشاء، وهذا مفهوم مغلوط يخالف ما قاله النبي ﷺ في آخر حياته وهو يلفظ الأنفاس الأخيرة: **«أوصيكم بالنساء خيرًا»**، وقال ﷺ: **«خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»**.

فبيّن في هذا الحديث أن أفضل الرجال هم أفضلهم لنسائهم.

٤ ـ عدم إدراك كل منهما لدوره:

فالمرأة ملكة في بيتها، والرجل ملك في بيته، وإنما أعطيت الإمارة للرجل لكي يتم النظام والاستقرار، ويخلو الجو من الفوضى، لأنه لا يتصور أن تكون مجموعة بدون إمارة، والأمور لا يمكن أن تمضي من غير أمير وطاعة، والإسلام أعطى للرجل هذه الإمارة ليس تفضيلاً له على المرأة إنما لكي تسير الأمور، لما يملك الرجل من صفات تؤهله لهذه القيادة، فالرجل هو الأمير وواجب الزوجة الطاعة له، وهناك أحاديث كثيرة تدل على أن المرأة إذا أطاعت زوجها وصلت فرضها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت، وأحاديث تدل على أن المرأة إذا مات زوجها وهو راضٍ عنها دخلت الجنة.

وكذلك الرجل عندما لا يدرك دور المرأة، يسبب ذلك في نشوء هذه الخلافات، فليس للرجل أن يتدخل في شؤون المرأة الداخلية، كترتيب الأثاث وشراء ثياب الأطفال وغيرها من الأمور التي تختص بها المرأة، وعندما يتدخل فيما لا يعنيه تحدث المشكلة.

٥ ـ تدخل الأطراف الأخرى:

سواء الوالدان من ناحية الزوج أو الزوجة، أو تدخل الأصدقاء أو الصديقات، لذلك كان من أكبر المعاصي عند الله أن تذكر المرأة أو الرجل ما يحدث بينهما على الفراش.

٦ ـ عدم وجود منهجية في تربية الأبناء:

فمعظم الأسر المسلمة تفتقر لوجود هذه المنهجية، ولكن يجب أن نحدد ما نريد بالمنهجية التربوية، ونعني بالمنهجية، وضع منهج محدد واضح لكل من الزوج والزوجة يسيران بموجبه في تربية أبنائهما، فيجب أن يتم الاتفاق بين الزوجين قبل أن يأتي الأطفال على هذه المنهجية.

ومثال على ذلك، إذا قامت الأم بضرب الولد وهرب لأبيه ليحتمي به، فيجب في هذه الحالة أن يكون واضحًا لدى كل من الطرفين ألا يعنّف ويخطئ ويلوم الأب الأم أمام الولد بسبب ضربها له حتى ولو ضربته بغير حق، لأن هذا يحدث في نفسه انقلابًا للصورة، فيحسب أن أمه على خطأ فما يقوم باحترامها بعد ذلك، أو الخوف منها، بل يجب على الأب في هذه الحالة أن يقول له بأن أمك ما ضربتك إلا بسبب الخطأ الفلاني وذلك حتى يشعر الابن أنه ما ضرب ظلمًا، بل بسبب خطأ اقترفه، وكذلك العكس إذا ضرب الوالد الابن.

٧ ـ الغيرة الزائدة:

فللغيرة حد معين، فإذا ما زاد عن الحد المعقول فإنه يسبب ارتباكًا في العلاقة الزوجية قد تؤدي إلى الطلاق أو غيره من النتائج السلبية، والأصل أن تثق الزوجة الصالحة في زوجها الصالح، وكذلك العكس، إلا أن يرى أحد الطرفين بعينه مالا يحتمل التأويل فهذا أمر آخر، أما أن يعتمد منهج الشك، وتصديق الكلام دون تثبت فهذا أمر لا يجوز.

٨ ـ الغضب:

والغضب هو سمة العصر الحديث، بسبب المادية التي غرقنا بها، وقد يصل الغضب ببعض الأزواج لتصرف معين من زوجته، إلى ضربها ومعاملتها معاملة البهائم، وهذا أمر لا يجوز، فالرسول ﷺ يقول: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»، وليس من الرجولة ضرب النساء، فهذا له أسبابه وشروطه وظروفه، والحياة الزوجية عندما يتخللها الضرب، فإنه من الصعب أن تكون حياة ناجحة. والغضب قد يؤدي بالزوجة إلى أن ترفع صوتها على زوجها، أو تنكر ما قدّم لها، أو تعانده فيما يريد من الأمور المباحة بالزوجة.

إن هذا التهور من كلا الطرفين يجب أن تحكمه قواعد وضّحها الإسلام، والتي من أبرزها عدم الغضب لغير الله تعالى، أما الدنيا فهي أحقر من أن نغضب من أجلها، ونخرب هذه العلاقة الزوجية، لنتيح للشيطان فرصة الفرح لهدم هذه الرابطة.

٩ ـ عدم إدراك طبيعة المرأة:

معظم الرجال من الشباب لا يعرف طبيعة المرأة، مما يسبب بعض

الإشكال الذي قد يزيد في بعض الأحيان ليشكل عقدة غامضة وراء الطلاق.

ومن بين هذه الأمور التي لا يعرفها كثير من الرجال ـ حالة التوحم ـ وهي حالة نفسية تمر بها الحامل في الشهور الأول من الحمل، إذ قد تؤدي بها إلى تصرفات يستغربها الزوج الجديد أشد الاستغراب، والتي منها على سبيل المثال:

١ ـ كراهية بعض الروائح، وربما رائحة الزوج نفسه، فتصبح لا تطيق الجلوس بقربه.

٢ ـ كراهية بعض أنواع الطعام.

٣ ـ اشتهاء بعض أنواع الطعام التي قد تكون غير متوفرة آنذاك.

ومن بين هذه الأمور التي تصيب المرأة هو التوتر العصبي وآلام الظهر والصداع أثناء الدورة الشهرية لبعض النساء.

ومن بين هذه الأمور: حب المرأة للزينة، وترتيب المنزل، وحبها للتسوق. هذه بعض طبائع المرأة والتي قد يستغربها البعض إلى درجة اتهام زوجاتهم بـ «الدلع» أو الكذب، مما يؤدي إلى توتر العلاقة.

١٠ ـ إرهاق كل طرف للآخر بأكثر مما يستطيع:

ما أجمل ما وصف النبي ﷺ به النساء عندما أطلق عليهنَّ صفة القوارير فقال موصيًا بهن: **«رفقًا بالقوارير»** (١) وكما أن للقوارير صفة الضعف وسرعة الانكسار إذا وقعت، كذلك يريد النبي ﷺ المبالغة بمراعاة ضعفهن، خوفًا عليهن من الكسر، ومع ضعف القوارير فإن لها صفة ثانية وهي النعومة

(١) رواه البخاري ٥٨٥٧، ومسلم ٢٣٢٣، وابن حبان ٥٨٠٣، وأحمد ١٣٦٦٧.

والشفافية، وكذلك هن النساء، فعندما تتعدىٰ المرأة طبيعتها هذه وتخوض ميدان الملاكمة والمصارعة، وكمال الأجسام كما يحدث في أمريكا والدول الأوربية، فإنها بذلك تصادم فطرتها وطبيعتها وتكون بذلك مخلوقًا جديدًا لا ينتمي للرجال ولا للنساء. إدراك هذه الصفات للمرأة ضروري للزوج حتىٰ لا يكلفها بأكثر مما تطيق فيقع في الظلم المنهي عنه.

ومن غير العدالة ألا يشارك الزوج زوجته ببعض الأعمال، فيريد منها أن تغسل الثياب، وتكنس البيت، وتطبخ الطعام، وتعلّم الأطفال، وهو لا يشارك بأي شيء من ذلك مع قدرته علىٰ فعل الكثير منها، كذلك من جانب الزوجة التي تكثر من الطلبات دون مراعاة لظروف زوجها الدراسية أو العملية بل إنها تغضب لكل طلب لا يقوم به، وتنكر كل ما قدّم لها من قبل إذا لم يوفِ ما تطلبه منه.

١١ ـ عدم التثبت بعد سماع الأخبار:

أخبار كثيرة يسمعها الزوج أو الزوجة تتعلق بأحدهما، فيقوم أحد الطرفين باتخاذ موقف ضد الآخر دونما تثبت، وتتغير طبيعته أو طبيعتها معه دون أن يقوم أحد الطرفين بمصارحة الآخر، مما يسبب التفكك الذي لا تحمد عقباه[١].

(١) الأسرة المسلمة، عبد الحميد البلالي، ص١١.

المبحث الثاني
التحديات الاجتماعية التي تواجه الأسرة المسلمة

المطلب الأول: الأسرة المسلمة وتحدي التطور التكنولوجي:

نعيش في كل يوم، وفي كل ساعة تطوراً لم تشهد له البشرية مثيلاً من قبل، ومن خلال الثلاثين عاماً الماضية، فقد أنتج العالم من المعلومات ما يزيد على الذي تم إنتاجه في الخمسة آلاف سنة السابقة.. !

وثمة طرح لدى نائب الرئيس الأمريكي (السابق) آل غور، عندما قال: (بمضاعفة استثماراتنا في تكنولوجيا التعليم.. سنحقق هدفنا في ربط كل فصل دراسي، وكل مكتبة، بطرق نقل المعلومات السريعة والممتازة مع العام (٢٠٠٠م) (الإنترنت)، وهكذا نستطيع تهيئة أطفالنا للقرن الحادي والعشرين، بأن نضع عصر المعلومات كاملاً عند أطراف أصابعهم)، وهذا حدث في دول كثيرة، وسيكون قريباً في كل الدول العربية.

وقد طرح سؤال في أوائل العام (١٩٩٨م): من هو الأمي في عام (٢٠٠٠م)، وجاء الجواب: هو الذي لا يتقن الكمبيوتر.. ! إلا أن السؤال اليوم: ومن هو الأمي في عام (٢٠٠٢م)، أليس هو الذي لا يتقن الإنترنت؟

سيكون المحرك الاقتصادي ـ كما يرى فرانك كيلش في كتابه (ثورة الإنفوميديا) ـ للاقتصاد العالمي الجديد مكوناً من صناعات الإنفوميديا ـ وهي الحوسبة والاتصالات والإلكترونيات الاستهلاكية ـ وهذه الصناعات

العالمية الآن، وأكثرها ديناميكية ونمواً، حيث يبلغ رأس مالها أكثر من (٣) تريليونات دولار.

سيتم بناء (طريق فائق السرعة)، وهو عبارة عن ألياف عالية القدرة، أو توصيلة كابل محوري إلى المنازل وأماكن العمل.. فما الذي سيحدث بعدها؟ ستصبح أجهزة الهاتف والراديو والتلفاز وآلات الألعاب لا تذكر..!! ولن نبقى مشاهدين سلبيين، فسيكون عندها في متناول أيدينا مستودعات ضخمة منتجات إلكترونية، وعروض تلفزيونية، وكتب، ومجلات، وموسوعات، وما هو أكثر بكثير...

وطريق بناء السرعة هذا سيكلف حول العالم أكثر من (تريليون دولار)، وستدفع منه اليابان (٤٥٠) مليون دولار، وأمريكا ما يزيد عن (٢٠٠) مليون دولار، والسوق الأوروبية (٢٠٠) مليون دولار... وهكذا.

نعم.. إننا نعيش ثورة بكل معنى الكلمة، وكما اندهش آباؤنا من الطائرات، ثم اندهشنا من الكمبيوتر وسائر الاتصالات والخدمات، فإن هناك ما يخبئه المستقبل لنا ولأولادنا.. ولكن ما تأثير هذا على الأسرة المسلمة؟ ما تأثير تلك الثورات المتوالية على الأسرة المسلمة ومفاهيمها؟

آثار التطور التكنولوجي على الأسرة المسلمة:

١ ـ لا نرضى بالقليل...

لم تعد رغبات الإنسان تقف عند حد الحاجات الأساسية، فالإنسان أو الأسرة لم تعد تأكل وتشرب لمجرد الحياة، ولكن يدخل التعديل والتحسين

والتهذيب على شكل غذائه ومحتوياته، فيتحول مقصود الغذاء بالتدرج إلى لون من المتعة.

كذلك الحال بالنسبة للسكن والملبس والأثاث والاتصالات والتكنولوجيا، فما كان يرضى به آباؤنا وأجدادنا في الماضي لم نعد نرضى به اليوم، وما نرضى به اليوم لن يرضى به أبناؤنا في المستقبل. . . هكذا تتغير حاجات الإنسان باستمرار، من وقت لآخر . .

٢ ـ التكنولوجيا أرهقتنا تعليمًا وتعلمًا:

ليس أمامي إحصائية واضحة، إلا أنني أعتقد ـ إنْ عملنا مسحًا بسيطًا على أفراد أي أسرة منا ـ ضمن نطاق الأطفال والشباب، فإن ٣٠٪ من وقتهم يذهب في سبيل تعلم الجديد. . . الجديد الذي لا نهاية له. . . فأنواع النقالات (الهواتف المحمولة) تتوالى، وكل ماركة أو موديل له مميزات وخدمات. . تحتاج إلى التعرف إليها. . وفي مثال (الكمبيوتر/ الحاسوب). . فستحتاج لدورة أو دورات، حتى تنتقل من تعلم الـ (Windows) إلى تعلم البرمجة، ثم برامج إكسل وغيرها، ثم إلى الصيانة. . ثم أنت بحاجة إلى تعلم كيفية الدخول إلى الإنترنت والتعامل معه. . وهكذا دواليك. . . فهل من نهاية؟!

بدعوى التوفير.. التخلص من العمال..

هذا ما تؤدي إليه التكنولوجيا وتطورها. . فالشركات تستخدم آلات لتستغني عن المئات والعشرات من العمال. . بدعوى أن هذا سيوفر على الشركة الكثير. . وستزداد قوة المؤسسة على المنافسة، وستتبوأ مكانها في السوق، وتزيد من أرباحها، والحق يُقال: إن كل ذلك صحيح، وسيحدث

ـ شئنا أم أبينا ـ ولكن السؤال: ما هو الثمن الذي سندفعه على مستوى الأسرة المسلمة.

ما الذي يستطيع العامل أن يفعله، وهو مُكلف بإعالة أسرة؟ وإذا كان السكان يزداد عددهم، ومع ذلك تقل نسبة إشغالهم.. أليس هذا خلل واضح؟ ألن يؤدي إلى مشاكل اجتماعية على المدى البعيد؟

٤ ـ تكنولوجيا استهلاكية...

أغلب السلع أصبحت مبرمجة للاستهلاك السريع، وهي السمة المميز للصناعة أكثر من إنتاج السلع ذات النوعية المعمرة... ولو نظرنا لأجهز التكنولوجيا المتقدمة، مثل الكمبيوتر والتلفزيون والفيديو، فإننا نرى أن أجهزة التكنولوجيا تتقدم بخطوات سريعة، بحيث تصبح غير صالح للاستعمال، وحتى الأجهزة الممتازة الأداء منها، تستبدل سريعًا بمنتجات أفضل..

إننا ننفق يومًا بعد يوم، للحاق بآخر التكنولوجيا.. وهي تبدو كسلع استهلاكية.. لا نهاية لها..

في النهاية:

لو لاحظنا كل ما سبق أن ذكرنا، وطبقنا تلك السلبيات أو الآثار على الأسرة المسلمة لوجدنا ـ بشكل واضح مدى تأثير (التقدم التكنولوجي) على ميزانية الأسرة، فهي ميزانية مرهقة.. لن تستطيع أن تلاحق ذلك التطور الهائل، بل إن التطور هو ـ بحد ذاته خطر على الأيدي العاملة وعلى أفراد الأسرة.

ملخص آثار (التقدم التكنولوجي) على ميزانية الأسرة المسلمة:

إيجابياً	سلبياً
* الرفاهية والراحة للإنسان	لم نعد نرضى بالقليل
* التكنولوجيا هي علم العصر اليوم	التكنولوجيا أرهقتنا تعلماً وتعليماً
* التوفير على الشركات والمؤسسات	بدعوى التوفير التخلص من العامل مما يؤدي بدوره إلى إنتشار البطالة والمشاكل المتعلقة بها
* تجدد في المميزات والابتكارات	تكنولوجيا الاستهلاكية
* ازدياد البدائل الاستثمارية المتاحة	اندثار العديد من الصناعات والحرف
* توافر الاتصالات والمراسلات بمبالغ زهيدة	

هذا ويبقى (التقدم التكنولوجي) أمراً لابد منه.. فكيف نتجنب آثاره السلبية؟

أفكار لتجنب الآثار السلبية قدر المستطاع:

* فلتصنع كل أسرة جدولاً، تضع فيه قائمة بالسلع الضرورية، وقائمة بالسلع الكمالية أو الاستهلاكية غير المُلحة. حتى يتناسب ذلك مع ميزانية الأسرة.

* مبدأ (الأولويات) مفيد جداً في مثل هذه الأمور.

* ملاحظة أنه ليس كل ما يلمع ذهباً، وليس كل ما يكتشف مفيد، وعليه فينبغي أن يكون هناك حوار بين أفراد الأسرة في الابتعاد عما يرهق ميزانيتهم دون فوائد أو مردود يُذكر(١). وفي هذا السياق نقول الحضارة لا

(١) الأسرة العربية في وجه المتغيرات المعاصرة، ص٢١٨.

تعني كل جديد وإنما الجديد الذي يتناسب مع حياتنا إعتقاداً وسلوكاً هـ
المطلوب.

ومن سياسية الإنتاج في الغرب: تحويل الإنتاج إلى حالة إستهلاكي
وحصر ـ كل سلعة بإضافة فائدة إذا صح التعبير من هيئة الإستخدام وبالتالي
فهي تضطرك إلى الاستمرار في الشراء وتحويل أكبر قدر من الربح الفاحش
لديهم.

المطلب الثاني: الأسرة المسلمة وتحدي تغيير القيم الدينية:

قبل دخول الألفية الثالثة بفترات بسيطة، بدأت كثير من القيم الدين
الفطرية، والتي زُرعت في النفوس، وجُبل الناس عليها، بدأت في التغيير
وبدأنا نشاهد نماذج وقيم لم يعرفها الإنسان من قبل.. هذا التغير إن ت
ـ على نحو ما سنذكره ـ فسيؤدي إلى نتائج رهيبة.. إنه سيؤثر على (وجو
العائلة)، على (وجود الأسرة المسلمة)، على (كل المفاهيم الاجتماعي
الدينية)، فما الذي يتغير؟!

١ ـ الإنجاب..

يذكر الدكتور (صبحي عبد الكريم) في تقديمه لكتاب (عالم يفيض
بسكانه) لمؤلفه (سير روي كالن) ـ نشر عالم المعرفة ـ أن (جوليان هكسلي
هو الذي أطلق الصيحة الأولى على المستوى الدولي عام ١٩٤٨م ـ ك
حينها مديراً عاماً لليونسكو ـ إذ قال في محفل دولي: (لابد من تحقي
التوازن بين السكان والموارد الاقتصادية، وإلا فعلى الحضارة الفناء)
وبدأت المؤتمرات والندوات، وبرامج الحكومات في العالم، من أج
الوقوف ضد ذلك الانفجار المنتظر... ومرت سنون وسنون إلى أن حد
العكس..!

فاليوم يعيش خبراء الديموغرافيا وعلماء الاجتماع حالة من الهلع جراء الانخفاض المستمر في عدد السكان، في الدول الصناعية المتقدمة في الغرب . . . حيث تجد في عناوين الصحف على سبيل المثال: (في نهاية ٣٠٠٠م أوروبا خالية من السكان!) (٥٠٠ نسمة سكان اليابان عام ٣٠٠٠م)، وقد يتراءىٰ للبعض أن هذه تنبؤات سوداوية، إلا أنها تخرج من مصادر رسمية وبأرقام موثقة.

ففي تقرير حديث صادر عن وزارة الصحة اليابانية يقول: (لو تجرأنا وأجرينا بعض الحسابات لوجدنا أن عدد سكان اليابان سيصبح ٥٠٠ نسمة فقط في نهاية عام ٣٠٠٠م، فهل نحن مستعدون؟).

نشرت صحيفة (يردفيل) النمساوية أن الشعب النمساوي تحول إلىٰ شعب من العزاب، وأن الإحصاءات التي نُشرت في شهر إبريل (نيسان) من عام ٢٠٠٠م أشارت إلىٰ أن في (النمسا) اليوم حوالي ٩٧٦ ألف عازب (من مجموع السكان البالغ ٩ , ٧ مليون)، وسيرتفع عددهم عام ٢٠٣٠م إلىٰ ٢٧ , ١ مليون عازب.

من الآن وحتىٰ نهاية عام ٢٠٥٠م سينقص عدد سكان إيطاليا ١٦ مليون، وكل من ألمانيا وأسبانيا تسعة ملايين، وروسيا ٢٦ مليون . . واليابان ٢٢ مليونًا، وكذلك سيحدث تناقص في أمريكا وبريطانيا وكوريا الجنوبية . . وهذا وفق دراسات حديثة في الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي.

نقلاً عن (مجتمعات تتعرض للأنقراض ـ فهمي هويدي ـ مجلة المجلة عدد ١٠٥٥ ، ٦/ ٥/ ٢٠٠٠م).

إلا أن المسألة اليوم تغيرت، فالكثير من النساء لم تعد ترغب بالإنجاب، وكثير من الناس لم يعودوا يرغبون بالأولاد، إن رغبوا فعن طريق التبني.

وتفيد الإحصاءات في (بريطانيا) ـ على سبيل المثال ـ أن هناك امرأة م
أصل ٥ نساء ترفض الإنجاب مطلقًا . . كما تعاني دول الاتحاد الأوروبي م
تراجع حاد في معدلات الولادة (مثلاً في أسبانيا المعدل (٠٥ , ١ طفل) لك
امرأة . . .) .

ولماذا يرفضون الأولاد؟

لقد أصبحوا في نظر تلك المجتمعات همّــا ثقيلاً ، إذ رعايتهم لسنوا
تقطع الكثير من أوقات (المتعة) ويحرمهم هذا من السياحة والرياضة والتر
عن أنفسهم في الملاهي والمنتديات . . ثم إن رعاية الأطفال مسألة مكلا
أكثر من تربية القطط والكلاب . . . !! فبسبب إرضاء الشهوات والنزوا
الشخصية يُعرض الأثرياء عن الزواج المؤدي للإنجاب ، وبسبب تخفي
الأعباء الاقتصادية يُعرض متوسطو الحال كذلك .

إنهم يتساءلون : لماذا ننجب الأبناء؟ ولماذا نحن مُجبرون على تحـ
مصاريفهم؟

وتأتي الدعوات الشاذة ، من تقنين الحمل إلى استخدام موانعه ، إ
الدعوة إلى تعقيم الأزواج . . كما دعا إلى ذلك (سير روي كالن) مؤل
كتاب (عالم يفيض بسكانه) ص١٨٨ نشر عالم المعرفة .

ومن المفيد القول بأن استطلاع لـ (الجمعية العامة لاستطلاع الآراء بإد
جامعة شيكاغو) سئل الأمريكيون : ما هو رأيك في العدد المثالي للأطف
في الأسرة؟ وكانت الإجابات :

طفل واحد أو لا أطفال ٤٪ .

طفلان ٥٧٪ .

٣ أطفال أو أكثر ٣٩٪ .

ونلاحظ الرغبة في طفلين هي البارزة. . .

(الدراسة في عام ١٩٩٩م ونشرت في جريدة الوطن الكويتية) بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩٩٩م.

هنا في هذا المقام نحب أن نشير بأن مفهوم الأسرة في هذه الدولة تحول إلى مفهوم المنفعة من جهة على أن المجتمع وكل ما يلّف ويدور في فلكه يحسب ماديًا ومن جانب آخر غيب كل ما يمت إلى الأخلاق التي تدعو إليها كتب الله ورسله التي تختصر القول بأن الله جعلنا خلفاء في الأرض واستعمرنا فيها وأن النسل المبارك المربى على مرضاة الله هو أجر وكسب للآباء واستمرار في إستباق الخيرات لاعتقادنا أن الرازق هو الله والمعطي على الخير هو الله فلا ضير من الإنجاب وملاقة المشقة في التربية على أن الأجر على قدر المشقة. وغياب هذا كله عن المجتمعات الغربية جعلها في حالة الشذوذ وبالتالي التحول إلى البحث عن بدائل لا تغني ولا تسمن من جوع مثل الإستنساخ والتبني وغير ذلك.

ولهذا فقد كان من برنامج الرئيس السابق بيل كلنتون ونائبه آل غور فيما يتعلق بالأسرة (أن يمنح إعفاءات ضريبية إضافية للأسر التي لديها أطفال)، لكن كان من برنامجه أيضًا: (إصدار قانون حرية الاختيار. . . اختيار المرأة بشأن إجهاضها. . !).

(نقلاً من كتاب (روية لتغيير أمريكا)، وهو برنامج كلينتون ـ آل غور الانتخابي).

٢ ـ الزواج:

يقول (سير روي كالن) في (عالم يفيض بسكانه) عن الدول المتقدمة: (لكن معدلات الطلاق في هذه الدول مرتفعة، بل إن كثيراً من الناس لا

يزعجهم عدم الزواج! وبالتالي أصبحت الأسرة مهددة بصورة أكبر من ذي قبل. . .) ص٢٠٩.

ويدور سؤال لديهم: هل الزواج مهم وأساسي؟ فعلى سبيل المثال في (فرنسا) من بين كل ثمانية أزواج، يوجد زوج واحد يملك عقد زواج رسمي، والبقية يعيشون بلا زواج. . . (مجلة الأسرة العدد ٩١ ـ شوال ١٤٢١هـ مؤسسة الوقف الإسلامي ـ هولندا).

وفي دراسة (توم سميث) الباحث في جامعة شيكاغو تبين أن نسبة الذين يعيشون حياة الأزواج بدون زواج زادت من ١٦٪ عام ١٩٧٢م إلى ٣٢٪ عام ١٩٩٨.

إنهم يقولون: ألا يكفي مجرد وجود شريك. .؟ فلماذا الزواج؟ والمؤسف أنه في (مؤتمر بكين السكاني) عام ١٩٩٥م ذكرت العلاقة داخل إطار الأسرة، فلم تذكر كلمة الزوج ولا مرة!! بل ذكرت كلمة أوسع منها (Partner) أي الزميل أو الشريك، فالعلاقة الجنسية بين الطرفين تضمن لكل منهما الاستقلالية الجنسية.

٣ ـ الصراع:

حيث ترى أن هناك اتجاهات لإيجاد صراع دائم بين الرجل والمرأة. . . وبدلاً من البحث عن التكامل، وتحقيق المساواة المزعومة، نجد الاتجاه القائم على أن المرأة دائمًا مظلومة، وعلى المتاجرة بحقوقها لدفعها إلى مزيد من الصدام مع الرجل، وهنا تبث تلك الفكرة السامة، وهي أن الأسرة والأمومة والزواج من أسباب قهر الرجل للمرأة. . !! وأن طلبه منها أن تعتني بأولادها، وترك العمل ـ إن تعارض مع تربية الأبناء وحاجات الزوج

طبعًا ـ هو طلب منها أن تترك حريتها، وتعود عبدة جارية . . . وهكذا تُفسر الواجبات والحقوق الزوجية بين الطرفين، على أنها صراع ومسرح للتجاذب والتخاصم، ومن الغريب أن بعض الرجال بدأ بطلب المساواة مع المرأة!!

٤ ـ مفهوم الجمال:

بدأت تغزو العالم، مفاهيم حول الجمال، فالجميلة هي الشقراء النحيفة الرشيقة ذات الطول الفارع!! هذا ما تصوره الدعاية والأفلام، وهذا ما يترشح لأجله ملكات الجمال. . وتعزز في العالم النظرة المادية للجسد كتقاسيم دون النظر إلى جمال الدين أو جمال الروح . . أو جمال الأخلاق . . أو حتى جمال العلم، فتتفانى النساء في البحث عن أدوات التجميل وعمليات التجميل واتباع رياضات مرهقة . . وما إلى ذلك، مما جعل المرأة تصبح سلعة، وأصبح مطلوبًا منها أن تعرض جمالها على الناظرين. وفي هذا إعتداد سافر على إنسانية المرأة وتحويلها إلى سلعة إستهلاكية في كافة المجالات للترويج لسلعة ما أو للاغراء بوضعها دائمًا في مواجهات الإدارة والمسؤولية وبالتالي يطلب منها تحيق المراد من وراء ستار مهما كان ذلك مكلفًا حتى لو عفتها وكرامتها أسفًا ـ ونزعوا منها أعظم رسالة إنسانية وهي رسالة الأمومة.

٥ ـ لماذا الدور المجاني للأم؟!

ورد هذا التساؤل في (مؤتمر بكين) ١٩٩٥م، حيث وصف دور الأم داخل بيتها بأنه غير مريح وغير مدفوع الأجر.

وهذا ناتج من النظرة المادية الغربية، حيث لا يقوم أحد بعمل إلا بأجر، وتكون العلاقة ـ كما وصفها الدكتور عبد الوهاب المسيري ـ علاقة تعاقدية مادية، وليس علاقة تراحمية تعاطفية.

٦ ـ تغيير المصطلحات الأسرية:

أو ما يتعلق منها بالأسرة، فبدلاً من مصطلح (الشذوذ) الجنسي، أصبح يطلق عليه مصطلح (تفضيل جنسي) أو (ميل جنسي)، أي يطلق عليه بالتعبير المحايد الذي لا يحمل دلالات سيئة عن ذلك الفعل، ولا يحمل معنى سلبيًا في ذاته. كلُ مبدأ فاسد في الحياة أو إعتقاد فاسد لابد أن ينتج عنه عمل فاسد على أنه مخالف لأصل الفطرة الحقة التي فطر الله الناس عليها وفي هذا المقام تبرز حاجة هذه المجتمعات وغيرها إلى العقيدة الحق والإيمان بها قولاً وعملاً.

كذلك لم يُسموا طرفي العلاقة الجنسية أكثر من لفظ شريك، وليس هناك إشارة عما إذا كان الشريك هو الزوج أو الزوجة.

وحتى الأطفال الذين يولدون خارج نطاق الزواج أصبح أسمهم (طفل الحب والجنس).

٧ ـ تعددية أشكال الأسرة:

لم تعد الأسرة المكونة من ذكر وأنثى... بل أصبح بالإمكان إطلاق لفظ الأسرة على طرفين بغض النظر عن جنسهما... أي ذكر بذكر أو أنثى بأنثى، يمكن أن يكونّوا أسرة!.

٨ ـ عمل المرأة:

لأن النظرة عند الغرب مادية، لأنه المهيمن على الأمم ومنظماتها، ولأن

العمل هو أمر مفروض على الذكر والأنثى، ولأنه لا يقوم أحد بالإنفاق على أحد بعد سن السادسة عشرة، لهذا دعت المؤتمرات السكانية ومؤتمرات المرأة إلى أن العمل حق من حقوق المرأة، ونحن لا ننكر أن تعمل

المرأة، ولكن أن يكون على حساب بيتها واختلاطها أمام الرجل الأجنبي، أو أن يكون مفروضًا عليها كما هو مفروض على الرجل، ولا أحد ينفق عليها إن لم تعمل، فهذا هو غير المقبول.

وفي عام ١٩٩٦م تجمعت ٧٤ دولة في مؤتمر الجريمة في لندن، فقرر أن من أهم عوامل ازدياد الجرائم بين الأحداث، خروج المرأة من بيتها!!

٩ ـ الاستنساخ:

إن عمليات الاستنساخ الجارية الآن على الحيوانات، والتي يُراد تطبيقها على البشر تحمل في طياتها الكثير من المخاطر والتأثيرات، فالهندسة الوراثية والجينوم البشري هي عوالم واسعة، تحتمل الكثير من الأخطاء، والكثير من النتائج غير المتوقعة.

ماذا لو استنسخنا عددًا من البشر، لهم نفس البصمة أو تركيب الحمض النووي وأجرم أحدهم؟

ماذا لو أن عذراء استنسخنا لها من إحدى خلاياها نسخة ثم أودع رحمها، فهل هذا الجنين شرعي؟ وهل تبقى عذراء ولم يمسسها بشر؟ وهل هذا المولود هو أخوها أم ابنها؟

هناك الكثير من الصور التي تغير شكل وعلاقة البشر كأفراد وكقرابات.. ولا ننسى قصة الأمريكي الذي اقترح أن يكون جنود الجيش الأمريكي من الاستنساخ حتى لا تدفع الدولة لهم (ضريبة) و(لا تتحمل تعليم أبناءهم) و(لا تتكفل بأسرهم).

وهذا كله وغيره هو أمثلة على تغيير القيم الدينية، وما تحمله من هدم للأسرة المسلمة المعاصرة وتخريب لأركانها، وتفتيت لأعضائها، بل وتقويض اسم الأسرة نفسه.

وهذا كله وغيره إنما يقود إليه (المشروع الغربي) الذي يعنى بإشباع حاجات المرء بالدرجة الأولى، ولا ضابط له ولا رادع سوى القانون. . . هذا القانون الذي وضع أساسًا لحماية إشباع رغبات الفرد. . !

جدول تغيير القيم الدينية:

١ ـ الإنجاب (لماذا ننجب الأبناء؟)	ينتج عنه	انقراض للبشرية
٢ ـ الزواج. . (لماذا الزواج؟)	ينتج عنه	عدم تحمل أي طرف للحقوق والمسؤوليات وأبناء يعيشون بلا آباء
٣ ـ الصراع بين الرجل والمرأة	ينتج عنه	توتر دائم في كل قضايا المجتمع
٤ ـ مفهوم الجمال	ينتج عنه	عبودية للجسد، وإهمال للأخلاق
٥ ـ لماذا الدور المجاني للأم؟!	ينتج عنه	علاقات مبنية على المادة والمال فقط
٦ ـ تغيير المصطلحات الأسرية	ينتج عنه	تمويه للحقائق وقلب للمفاهيم الصحيحة
٧ ـ تعددية أشكال الأسرة	ينتج عنه	أمراض جنسية لا تُعد ولا تُحصى
٨ ـ عمل المرأة	ينتج عنه	إهمال للأولاد وللزوج وللمنزل
٩ ـ الاستنساخ	ينتج عنه	أنماط جديدة مشوهة من البشرية

وفي النهاية نرى النتيجة العامة (التهديد المباشر لوجود الأسرة)[1]. . !!

في هذا البحث ـ نقول ـ باختصار ـ بأن المسلم ـ واقعي: وموضوعي فمطلوب منه أن يظل في سياق النور الرباني ـ طلب منك العبادة ـ وضمن لك الرزق ـ فنحن ـ ندرك أن الله ـ ما خلق دابة في الأرض إلا وضمن لها الرزق ـ وتلك الأمم غاب عنها هذا وكثير غيره ـ وكل حضارة ليس لها سياج

(١) انظر: الأسرة العربية في وجه المتغيرات المعاصرة، ص٢٢٨.

من وحي الله ـ يقيها الإنزلاق تمشي بخطى مسرعة نحو الإنهيار والسقوط وهذا ما حدَّث عنه القرآن ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما آوتوا أخذنهم بغتة فإذا هم مبلسون** ﴾ وذكر ابن خلدون في كتابه مقدمة علم الإجتماع أن الترف المادي من أخطر الأعداء على الحضارات فهو الإرضة التي تأكل منسأتها وتقوض أركانها خاصة وأنها تمت إلى خالق السماء بصلة وصل مطلقًا. إذًا لا أخلاق إذًا لا أمم. والحضارة لا تعني كل جديد وإنما الجديد الذي يوافق فطرة الحق التي فطر الناس عليها وعقيدة التوحيد الخالص.

إلا أن الحضارات الغربية والآسيوية لا تفكر بهذا الأمر مطلقًا فهي وجودية ١ + ١ = ٢ تؤمن بما تنتج وبأرقام حسابية ناسية أن الصمد الرازق هو المدبر للشأن كله فتعالى الله عما يشركون.

وجوهر الإيمان باليوم الآخر فهو مفقود لديهم وبالتالي لا يرون بئسًا في أي عمل ـ أصاب أو أخطأ أو ترتب عليه أذىً أو ضرر لغيرهم من بني البشر طالما لا يوجد إيمان بيوم الحساب. وفقدان الأمل يعني سوء العمل لذلك يقول الواحد منهم لا بأس علي أن أفعل أي شيء لظنه أنه راحل إلى عدم.

المبحث الثالث

الأسرة المسلمة ومواجهة تحدي الواقع المعيشي

عندما تسير الأسرة المسلمة بهذه الخطوات الثابتة نحو طريق الحق، فإنها تفتن بفتن كثيرة، ومن هذه الفتن «قلة الرزق» أو هو الفقر الذي كان يقول عنه عمر رضي الله عنه: «لو كان الفقر رجلاً لقتلته» وكان النبي ﷺ يستعيذ بالله منه، ويقرنه بالكفر فيقول: **«وأستعيذ بك من الكفر والفقر»** ومع أن الرزق هو أول ما يكتب على الإنسان إلا أن أكثر ما يجزع عليه الإنسان هو «الفقر» ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه يقول النبي ﷺ: **«يجمع أحدكم خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فيأمر فينفخ فيه الروح، ثم يؤمر بكتب أربع: يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد...»**[1].

فأول ما يكتب على الإنسان وهو جنين في بطن أمه الرزق، ومع ذلك فإن أكثر ما يشغل الإنسان هو هذا الأمر.

يجب أن ندرك بأن الرزق مكتوب لا يزيد ولا ينقص، فلا يقلق أحد من نقص الرزق وقلة المعيشة، فإن هذا أمر طبيعي بأن يفتن به المسلم في حياته، بل يجب عليه حمد الله وعدم الشكوى لأحد.. كما يقول الإمام ابن القيم: «الذي يشكو للآخرين فكأنما يشكو الله للمخلوق»، هذا هو تقدير الله سبحانه وتعالى ليرى مدى صبر المسلم على البلاء، فإن نجح في الاختبار

---

(١) رواه البخاري ح: (٨٦)، ومسلم ح: (٢٠٧).

وسع عليه الرزق، ورفعه درجات عالية، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ② وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

ومن إفرازات هذا التحدي المعيشي اضطرار المرأة للعمل خارج المنزل، مما يسبب انعكاسات سلبية كبيرة، منها: عدم رعاية الأطفال رعاية كاملة، مما يؤدي إلى نقص عنصر المحبة الذي يحتاجه الأطفال من الأم والأب، وهذا قد يؤدي إلى انحراف الأبناء، وربما أدى العمل في الخارج إلى اختلاف الزوجة مع زوجها لعدم استطاعتها تلبية جميع ما يريده منها لانشغالها، وربما يؤدي ذلك إلى انحراف المرأة لاحتكاكها بالرجال وسقوط الكلفة بينها وبينهم بسبب سقوط الحياء، ويقول الرسول ﷺ في الحديث: **«إذا حضر الحياء حضر الإيمان، وإذا ارتفع الحياء ارتفع الإيمان»**(١).

---

(١) وأعني في ذلك المرأة المسلمة عموماً والتي يسمح لها في بعض البلاد الإسلامية العمل بمخالطة الرجال!؟.

المبحث الرابع
الأسرة المسلمة ومواجهة التحدي الإعلامي

إن من المؤكد أن من أكبر الفتن التي غزت كل بيت هي الموجة الإعلامية، من تليفزيون وصحيفة وشريط فيديو وشريط سماع وما يتصل بها، وكل هذه الوسائل الإعلامية ليست حرامًا بذاتها، فهي أجهزة صالحة للاستخدام في الخير أو الشر، وبسبب أن معظم من يتحكم بهذه الأجهزة هم من أصحاب الأهواء، والأغراض الخبيثة في تدمير أخلاق وقيم المجتمع الإسلامي، وبخاصة الأسرة المسلمة فإن معظم ما يعرض في هذه الوسائل سموم يراد منها تحطيم القيم التي جاء بها الإسلام، ونشر قيم جاهلية لا تتصل بواقع الأمة الإسلامية، بل هي الغثاء الذي يعيش فيه المجتمع الغربي.

وإننا نرئ أن الإعلام أشد التحديات التي تواجه الأسرة المسلمة فلقد رأينا نماذج كثيرة من أفراد الأسرة صار الإعلام يصوغهم صياغة ظاهرة شكلاً وفعلاً وقولاً. فنتج عن ذلك تغيرات في الأسرة يندئ لها الجبين ومظاهر تنفطر لها الأكباد.

ولاشك أن التحدي الإعلامي، والذي يسيطر على الكثير من أجهزته أعداء الله في كل مكان، هو من أكبر التحديات إذا لم يكن هو الأكبر للأسرة المسلمة، فالأب أو الأم كلما أعطيا قيمة من القيم أو خلقًا من الأخلاق إلا وحطمه ألف معول إعلامي يراه ويحتك به ويسمعه الطفل كل يوم من خلال التليفزيون والمذياع والصحف، حتى في البرامج التي تخص الأطفال فإنها لا تخلو من تحطيم تلك القيم الإسلامية.

فلابد للآباء والأمهات أن ينتبهوا لهذا التحدي العظيم ويحاولوا مجابهة هذا التحدي بتحدٍّ آخر على شكل برامج ترفيهية وثقافية ورياضية، تعوض تلك البرامج الهابطة التي يعرضها الإعلام الفاسد، وهي مسؤولية كل أب وأم في الأسرة المسلمة، والأفضل هو المحاولة الجادة لعزل الأطفال عن هذه الأجهزة بالحكمة، حتى يكون غياب تلك الأجهزة واقعًا يتعود عليه الأطفال دون إحداث ردة فعل. هذا في حال - غياب إعلام إسلامي - بعيد كل البعد عن الفساد وبالتالي هذا لا يكفي فلابد من وجود الترفيه المنزلي من بعض اللعب المباح وإيجاد برامج لتعليم القرآن والثقافة والتاريخ الإسلامي وبعض ثقافات الشعوب الأخرى لمواجهة التحديات القائمة على المسرح الدولي من أحداث ومتغيرات.

إنَّ الأسرة المسلمة تتعرض في الوقت الحاضر إلى أشرس هجمة غربيَّة عدوانية؛ للتشكيك فيها، ومحاولة طمس معالمها، ودفع المسلمين إلى التنكُّر لها، والسعي نحو إحلال الهويَّة الثقافية الغربية المنافسة لها محلَّها. ولسنا نمارسُ نرجسيةً عنصريةً عندما نقرِّر أن خطر ذوَبان الهوية الإسلامية في الهوية الغربية، أشدّ فداحةً، وأسوأ أثرًا من ذوَبان هويَّات الأمم الأخرى فيها، ذلك أنَّ تذويب الهويَّة الثقافية الإسلامية، لا يُعدُّ خسارةً للعرب والمسلمين وحدهم، بل هو - إلى جانب ذلك - خسارة للإنسانية كلِّها. فالهوية الإسلامية، رمز للدِّين الخاتم، وعنوان للحضارة الربَّانية الهاديَة.

«إنَّ الإسلام - عقيدة وحضارة - هو هَدْيُ الله للعالمين كافَّة، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فهو - وفقًا لذلك - يستهدف خيْر البشرية جمعاء. إنَّه البديل الحضاري المنافس للحضارة الغربية؛ التي أفلَسَتْ في ميْزان الحق والقيَم والأخلاق الإنسانية، فإذا سقط البديل - لا

سمح الله ـ فتلك خسارةٌ عالميّة فادحة. إنَّ الإسلام، هو الأمل الذي تتطلّع إليه الإنسانية كلّها، وسقوط الأمل يعني استمرار حالة الضَّياع والتّيه التي تعيش فيها البشرية اليوم»[١].

كان للإعلام ـ بوسائله المتعددة ـ دور بارز في تحقيق أبلغ أهدافه أثراً، وهو تغريب الهويّة الثقافية للأمّة. لقد كانت وسائل الإعلام من أخطر الوسائل التي سخَّرها الغربيون وامتدادهم التغريبي في البُلدان الإسلامية؛ لخدمة محاولاتهم لطمْس معالم الهوية الثقافية الذَّاتيّة للمسلمين، وجري المجتمعات الإسلامية إلى تقليد النَّمط الغربي في الفكر والحياة.

إنَّ الغزو الثقافي الغربي؛ يعبر اليوم إلى العقول والقلوب، عن طريق الخبر الذي تبثُّه وكالات الأنباء، والتحليل السياسي، والاقتصادي الذي تكتبه الصحف، والصورة المُبهِرَة التي ترسلها الوكالاتُ المصوِّرة، كما أنَّ هذا الغزو، يعبر إلى العقول والقلوب، عن طريق «الفيلم» التلفزيوني المدهش، وشريط الفيديو الفاتن، والبرنامج الإذاعي المشوِّق، و«فيلم» الكرتون المُتقَن. وبذلك يمكن القول: إنَّ وسائل الإعلام نقلت حركة التغريب الفكري والثقافي من مرحلة «النخبويّة»، إلى مرحلة «الجماهيرية» وأصبح هذا التغريب ـ بفضل هذه النقلة الخطيرة ـ داء يَسْتشري في كيان الأمَّة كلِّها، يدخل كل بيت، ويؤثِّر في كل أسرة مسلمة، وكلّ قطاع من قطاعات حياتنا المعاصرة.

وهذا الغزو يتمُّ دون مجهودٍ من الجهة الغازية، ودون أن يُدرك ضحية الغزو؛ أنَّه معرَّض لأيّ خطر، فَيُقْبلُ في حماسةٍ وبلاهةٍ، لا على قبول

---

(١) الإعلام والتغريب الثقافي، د. عبد القادر طاش (ص١٠ ـ ١١).

الغزو فحسْب، بل إلى اعتناقه واحتضانه. وهذا مَكْمَنُ الخطرِ؛ إذ كيف يمكن أن تقاوِم عدواً لا تشعرُ بوجوده؟!

الإمبريالية الإلكترونية:

إنَّ هذه الإمبريالية التي تمارسها وسائل الإعلام الغربية في المجتمعات النامية هي: «علاقة التبعية التي تأسَّست باستيراد معدَّات الاتصال، والبرامج الأجنبية وغيرها...، وذلك بإيجاد الأسس لمجموعة من المعايير والقيم الأجنبية، والتوقُّعات التي يمكن أن تغيِّر الثقافة المحليَّة، وعمليات التنشئة الاجتماعية إلى درجات مختلفة.

فالاستيراد يتنوَّع، من الكتب الهزليَّة إلى الأقمار الصِّناعية، ومن الحاسوب (الكمبيوتر) إلى الليزر، وبجانب منتجاتها الأكثر تقليدية، مثل البرامج الإذاعية، والمسرح، وأشرطة السينما، وخدمات البرق، وعروض الإذاعة المرئية»[١].

إنَّ عمليات وأنشطة الإعلام الدّولي الحاليّة، هي جزء أصيل من علاقات التبعيَّة التي تحدِّد التنظيم السياسي والاقتصادي والثقافي للنظام العالمي الرَّاهن.

التَّبعية الإعلامية:

«لتحقيق أهداف الإمبريالية الثقافية الغربيّة، سُخِّرَتْ وسائل الإعلام الجماهيري لتغريب الهوية الثقافية للأمة العربية والإسلامية. وكما كُرِّست في حياة الأمَّة مظاهر التبعية السياسية والاقتصادية، فقد كان من الطبيعي أنْ تنعكس هذه المظاهر على تركيبة الإعلام الغربي والإسلامي، وممارساته الواقعية. وشملت التبعية الأمور التالية:

(١) المصدر السابق (ص٢٥ ـ ٢٩).

١ ـ التبعية في مجال التقنية.

٢ ـ التبعية في مجال البرامج، والأنباء وبحوث الإعلام»[1].

البرامج المستوردة:

إنَّ البرامج الإذاعية والتلفزيونية التي تُملأ بها أوقات أجهزة الإعلام في الدول العربية والإسلامية، أكثرها مستورد من الغرب، ففي الدراسة التي أجرتها منظمة «اليونسكو» عن التداول الدّولي للبرامج التلفزيونية، نجد أنَّ غالبية الدُّول النامية ـ ومنها العربية والإسلامية ـ تستورد مالا يقلّ عن نصف البرامج التي تعرضها في محطاتها التلفزيونية، وأن (٧٠٪) من جملة الواردات العالمية من البرامج التلفزيونية، تأتي من الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، وأنَّ الدول التي تحتكر تصدير هذه البرامج هي على التوالي: الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، فرنسا، ألمانيا، وأنَّ حجم البرامج المستوردة في التلفزيونات العربية يصل إلى نسبة تقرب من (٤٠٪ إلى ٦٠٪) من مجموع النتاج الذي يقدَّم عليها.

الاعتماد على المناهج الغربية:

«تعتمد مؤسسات البحث الإعلامي ومعاهد التدريس الأكاديمي والمهني للإعلام في الدول العربية والإسلامية على المناهج الغربية، وهي مناهج ونتائج بعيدة الصِّلة عن واقع المجتمعات العربية والإسلامية، وغريبة كل الغرابة عن السِّياق الفكري والاجتماعي والسياسي والاقتصادي لهذه التجمّعات. وبذلك تُسْهم هذه التبعية المنهجية، والعلمية، في تغريب وسائل الإعلام، وتوسيع الفجوة بينها وبين جماهير المتلقِّين»[2].

---

(١) المصدر السابق (ص٣٤ ـ ٣٥).

(٢) المصدر السابق ص٨.

القوة التأثيرية لوسائل الإعلام:

إنَّ وسائل الإعلام أصبحت من الضروريّات الأساسية في حياة الفرد في المجتمع، وقد أظهرت الدِّراسات التي استمرَّت إلىٰ وقتنا الحاضر، أنَّ تأثير وسائل الإعلام عملية مستمرَّة، متفاعلة، ذات جوانب متعدّدة، لا تخضع لعاملٍ واحد، وأنَّ التأثير يخضع لظروف المستقبل، والعوامل المساعدة، وأنَّ غالب التأثير لا يظهر إلا بعد فترات طويلة.

وبعد أن أصبح التلفزيون يملك هذا الانتشار العريض، والاهتمام الكبير، لا يمكن أن يظلَّ تأثيره حياديّاً، وقد صار جزءاً من حضارتنا المعاصرة، وعنصراً كبيراً في تشكيل آرائنا، واتِّجاهاتنا، وسلوكنا.

وقد برزت مشكلات كثيرة بسبب هذا الجهاز، يحسُّها الآباء، والمربُّون، وغيرهم؛ لهذا فرضت ألمانيا حَظْرًا علىٰ جميع إعلانات التلفزيون قبل الساعة الثامنة مساءً، وذلك لحماية الأطفال من أن يصبحوا «ضحايا المجتمع الاستهلاكي».

وقد قال أحد علماء الطبِّ النّفسي للأطفال، حول القيود المقترحة علىٰ إعلانات التلفزيون في الولايات المتحدة الأمريكية: «إنَّ الأطفال الصغار، قد يصبحون متشكّكين في والديهم، ومدرِّسيهم، أو أيِّ شخصيَّة أخرىٰ تنتقص من أهمية منتجات غذائية مغلقة، أو لعبة أطفال سيئة الصنع، يجري الإعلان عنها بدهاء». وأضاف: «إنَّ الشعور بعدم الثِّقة، ينشأ عندما تصمت شخصيّاتٌ لها سلطة شرعية، مثل: الأبوين، أو تفقد حجيَّتها، إذا ما استخدمت أساليبها الضعيفة للإقناع في مواجهة الإعلانات التلفزيونية لدىٰ الأطفال الصغار».

هذا في قوة تأثير الإعلان، فكيف تكون قوّة تأثير «الدّراما» التي تعتمد

على الخيال، والحبكة الفنيّة التي تشدّ انتباه الكبار والصغار، والتي تُقدَّم الإعلانات خلالها، اعتماداً على قدرتها في شدّ الانتباه؟.

إنَّ إنكار تأثير التلفزيون على الأسرة المسلمة المعاصرة، أو التَّقليل منه، أمر يخالف المنطق والواقع، والتَّجربة، وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر في هذه النقطة، فإنَّ الدِّراسات العديدة أثبتت أنَّ التلفزيون يؤثِّر على الصِّغار والكبار على حدٍّ سواء، وأنَّه أثر عمليًا على المشاهدين. كما أثبتت دراساتٌ في جامعة شمال كارولينا، على أطفال الحضانة، حيث خُصِّصَ أطفالٌ لرؤية إحدى عشرة حلقة من برامج العنف، والآخرون لرؤية إحدى عشر حلقة، من برامج تخلو من العنف في الوقت نفسه، وعند مراقبتهم عن بُعد، في أثناء لعبهم العادي، وُجِد الفَرْقُ واضحًا في مسلك الأطفال. كما أوضحت أبحاث أخرى في روايات الهنود الحمر، والكاوبوي، والجريمة، والتجسّس، والكوميديا، وغيرها من برامج التلفزيون المحبَّبة لشريحة كبيرة من جمهور المشاهدين، قد أثبتت فعاليَّتها في توضيح أساليب العنف الإنساني، والانتقام، والسَّطو، والفرار، والقتال، وبالتالي سهُل تعلُّمها وتقليدها، مع أنَّ التلفزيون ليس وحده الأداة المثيرة للعنف، والأخلاق السيئة، إلا أنَّه أكثر الأدوات فعالية.

فساد وسائل الإعلام ودورها في إشاعة الانحلال الخُلُقي:

يُعدُّ هذا العنصر من أهم أسباب ضعف الأسرة المسلمة، إذ إنَّ للإعلام دوره الخطير في المجتمع، إيجابًا أو سلبًا. وممّا يثير في النفس الحسرة والألم أنَّ وسائل الإعلام في الدول الإسلامية ـ مقروءة كانت، أو مسموعة، أو مرئية ـ قد سارت في ركاب الإعلام العالمي التي تسيطر عليه الصهيونية والصليبية العالمية، فجعلت أهمّ وأعظم أهدافها: التّفنن في إثارة الغرائز

والشهوات بالبرامج التافهة، والمسلسلات الخليعة، والأفلام الماجنة، والصور العارية... إلخ... كل هذا، بدعوىٰ التطوّر ومسايرة العصر.

وبنظرةٍ سريعة إلىٰ أغلب وسائل الإعلام، يتبيَّن أنَّها تجعل جُلَّ اهتمامها منصبّاً علىٰ أخبار «الفن والفنانين» أو «الرِّياضة» أو متابعة أحداث صيْحات «الموضة» العالمية، ولا ننسىٰ حفلات انتخاب ملكات الجمال وما يحصل في فقراتها، وكذلك تسليط الأضواء علىٰ أهل هذه المجالات، وتقديمهم إلىٰ الأسرة المسلمة باعتبارهم النجوم اللامعة، أصحاب القُدْوة الصَّالحة، وفي المقابل تتوارىٰ بقية المجالات وخاصَّة المجال الدِّيني، حيث لا تُعطىٰ له إلا مساحة ضئيلة لا تكاد تُذكر، وفي الوقت نفسه لا روْح لها ولا تأثير، حيث أريد لصفحات الفكر الديني في الصحف، وللبرامج الدينية في الإذاعة والتلفزيون أن تتناول موضوعات محدَّدة، لا صِلَة لها بالواقع الذي يعايشه المسلم؛ ممّا يجعلها باهتة، ضعيفة التأثير، إن لم تكن معدومة التأثير أصلاً.

نتيجة لهذا الوضع المقلوب، باتت الأسرة المسلمة في معظم الدول الإسلامية تغصُّ بالانحرافات الخُلُقيّة، النَّاتجة ـ حتماً ـ عن هذا الطّوفان الهائل، والإعصار المدمّر[١].

دور الإعلام الغربي في تشجيع السلوك السّيِّء والانحراف:

تركز أكثر البرامج الوافدة علىٰ أساليب الإثارة، واستغلال الغرائز البشرية؛ لشدِّ الجمهور إليها، وتخديره عبر برامج الترفيه ـ التي لا تتطلب أيَّ مجهود ـ بل تتلمّس رغباته الغريزية، وتحاول إثارتها، وإشباعها حتىٰ تتضخَّم، تُزاحم بقيّة مكوِّنات شخصيَّته؛ مما يجعله فرداً ضعيف التوازن،

(١) النظام الدولي الجديد بين الواقع الحالي والتصور الإسلامي، ص٦٩٧.

تحكمه غرائزه، ووسائل إشباعها، وهذه حال الكثير من شباب بلادنا؛ الذين يعتمدون في ثقافتهم، وتكوينهم، على تلك البرامج المصدَّرة لهم من الخارج، والتي لا تتَّفق مع القيم - حتى في البلاد التي صدرتْ منها - لمخالفتها معايير تلك المجتمعات.

وقد صنَّفت بعض الدراسات العلمية؛ لتقييم البرامج السينمائية، والتلفزيونية في الغرب، ووزَّعت إلى خمسة أصناف، تتراوح بين القبول، والقبول النسبي، والحياد، والرَّفض النِّسْبي، والرَّفض المطلق؛ للأسباب التالية:

أولاً: تشجيعها للسلوك الجنسي اللا أخلاقي.

ثانيًا: تشجيعها للسّلوكيات اللا أخلاقية، بصورة عامّة.

ثالثًا: تشجيعها على الطلاق، وإسهامها في فساد الحياة الزوجية.

رابعًا: تشجيعها لظاهرة السلوك العدواني، والقسوة السَّاديّة، والعنف.

خامسًا: تشجيعها للسلوك الإجرامي، والانحراف.

سادسًا: تعرُّضها للدِّين، ومساسها بالعقيدة الدينية.

سابعًا: تقليلها من أهمية حياة الإنسان، وتشجيعها على الانتحار.

ومع هذه النَّوعيَّة الهابطة من المواد البرامجية، تجد من يعارضها، ويطالب بمنعها في بلاد الغرب، إلا أنها تنتشر في بلاد العالم الثالث بشكل مخيف، عبر المحطات الرسمية، أو عبر أشرطة الفيديو، والمحصِّلة النهائية هي: صُنْع شباب وأطفال تلك البلاد، وفق القيم، والسلوكيات، والأخلاق الوافدة؛ التي تملأ تلك المواد البرامجية، خاصّة إذا عرفنا النِّسَب العالية للأميَّة، والبطالة، والفراغ في البلاد المذكورة؛ والتي تشكل عوامل مؤثِّرة في الموادّ البرامجية.

مسؤولية الأسرة المسلمة ووسائل الإعلام:

إن مسؤولية الأسرة المسلمة تكمن في ألا تتيح الفرصة للسلوك المخالف للإسلام أن ينتشر في المجتمع المسلم حتى يصبح عادة متَّبعَة، وسُنَّة ماضية، بل عليه إنكاره حتى يزول.

ومع انتشار وسائل الإعلام القوية اليوم، استطاعت العاداتُ الفردية والاجتماعية؛ أن تنتقل بين المجتمعات الإنسانية بشكل أسرع؛ مما يشكّل تهديداً لعادات بعض الثقافات التي تُجابه بغزوٍ ثقافيّ مكتسح عبر وسائل الإعلام القوية، والتي تسيطر عليه جماعات معيَّنة بسبب تفوُّقها التكنولوجي في هذا المجال.

فإذا سيطر نوعٌ من الإعلام الخارجي، فإن العادات التي يحتويها، ستكون أكثر تأثيراً من أيّ عادات غيرها، ودراسات وسائل الإعلام على الثقافات المحلية خير شاهد في هذا.

إنَّ معظم الدراسات التي أُجريت لقياس تأثّر الثقافات المحليّة بالبرامج الإعلامية، تثبت حصر القدوة في أصحاب السلطان، مثلما قال «ابن خلدون» وغيره من دارسي أحوال المجتمعات: «كان قبل ظهور وسائل الإعلام الجماهيرية التي سيطرت على عقليّة الناس، وأصبحت تقدّم لهم القيمَ والعادات والأذواق، وتساهم في تشكيل اتجاهاتهم وآرائهم بِنِسَبٍ متزايدة، ومما يثبت ذلك أنَّ أصحاب السلطات أنفسهم، يستفيدون من قُدرات وسائل الإعلام للتَّمكين لما يعتقدونه من قيم، ونشر السلوك الذي اعتادوه، ويرغبون في نشره بين الناس»[١].

---

(١) الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، ص٣٤٥.

الخاتمة

كيف نقف أمام هذه التحديات

لابُدَّ لي في ختام هذا البحث أن نحمد الله عز وجل أن وفَّقنا للكتابة في هذا الموضوع، والذي نرجو أن يحوز على القبول والرضا، وأن ينفع الله تعالى به المسلمين والمسلمات في كلِّ البقاع، وأن يجعله عملاً صالحًا لنا في دار البقاء، ويكتب مثلَ ثوابه في صحائف والدينا، إنه ـ سبحانه ـ على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

وكلي أملٌ أن يأخذ هذا البحثُ مكانته في المكتبة الإسلامية، وأن تنتشر أفكارُه في أذهان الأمة، كي تفيق من غفلتها، وتعي مسؤوليتها تجاه الأسرة المسلمة، فتجنِّد لها كل الإمكانات المعنوية والمادية والعلمية، استشعاراً بعظم المسؤولية الملقاة على كاهل الأسرة المسلمة، وخاصَّةً في العالم المعاصر.

ولقد برزتْ من خلال البحث عدة نتائج، وهي:

١ ـ أن المرأة المسلمة مهيأة لتربية الأجيال التربية الفاضلة، وغرس الفضائل، وتثبيت القيم، وإشاعة جوّ من الأمن والمودة والسكينة في الأسرة المسلمة، باعتبارها العنصر الأهم لتحقيق الاستقرار.

وفي زمن الشرود عن منهج الله تعالى، ولُغُوب الفلسفة الغربية، ورَهَق الآراء الضالة، لا يَسَعُ الأسرةَ المسلمة إلا التمسُّكُ بالهدي القرآني، والسنة النبوية؛ لتصحيح المسار، وتنضير الحياة، والنهل من المنبع النقي؛ لتعزيز الأمن والسكينة، وانتشال الحيارى من وهدة الضَّعة، وتبعية الهوان.

٢ ـ التحديات التي تواجهها الأسرة المسلمة كبيرة وعنيفة، إذ يُراد لها أنْ تتآكل، وتتحلَّل، وتتقوَّض، وتهبط إلى المستنقع الآسن، في وحول النأي عن الحق والصواب والصَّلاح، إثر ابتعادها عن رباط العقيدة، ونظام الإسلام، فأرجاسُ المادية تشرئبُّ هنا وهناك، تبث الشعارات المزرية والشعائر الهابطة، وتلوُّث المشاعر، وتشوُّه المفاهيم؛ لذا تبدو رسالةُ الأسرة المسلمة في العالم المعاصر أشدّ صعوبة، وأعظم أجرًا، فلكي تطهر القلوب، وتصفو التصورات، وتتنظّف المشاعر، تقوم الأسرةُ بدور تربوي عميق ومستمر، من أجل تحقيق النقلة القاسية من الابتزاز والغبن والحيف، إلى غَرْس الفضيلة، والقيم، والعضّ عليها بالنواجذ.

٣ ـ تأصيل العلاقات الزوجية وعلاقات الوالدين من الآباء باتجاه الأبناء وبالعكس على ثوابت الشرع الحنيف ومن خلال الالتزام بما أمر به الله في سمو وقداسة الرابطة الزوجية، واعتماد قاعدة المودة والرحمة، ومن ثم إعداد الأبناء على أساس الإيمان السليم، فهو حصن ضد الانحلال والانحراف، وعاصم من التطرف والغلو.

٤ ـ أن تقوم الأسرة المسلمة بالبحث والتحري في الموروث لاستبعاد السلبي فيه، وتفعيل الإيجابي والمفيد منه. وباتجاه الوافد أيًا كان لابد من اعتماد معايير نابعة من خصائص شخصيتنا الإسلامية كي نقبل ما يناسب منه ونحذر وننبّه للمسموم منه الذي يفسد ويخرّب.

٥ ـ إن الأسرة المسلمة بحاجة في موضوع الإنفاق أن تقيم توازنًا بين الإنفاق في الاستثمار والإنتاج، والإنفاق في الاستهلاك، مع اعتدال بعيد من التقتير أو الإسراف. ليس المطلوب أن يبخل الإنسان، ولكن لابد من

تحصين قواعد الصرف والإنفاق من فلسفة الاستهلاك التي يعمل لها دعاة العولمة/ الأمركة كي لا نبدد الثروات في غير الوجوه الصحيحة، والأخطر من ذلك أن يحمل أفراد أسرةٍ ما فوق ما يطيقون، إذ القاعدة: كيّفوا وجوه معاشكم وإنفاقكم وطموحاتكم مع إمكاناتكم وقدراتكم.

٦ ـ نتيجة تشابك الصلاحيات في إعداد الجيل نحتاج أن يتم التنسيق بين المؤسسات الرسمية والأهلية المدنية مع المدارس والمعاهد ومع الإعلام بمختلف وسائله مع منابر التثقيف خاصة المنبر الديني الوعظي، وأن ينسق كل هؤلاء مع دور الأسرة المسلمة ضمن سقف ثقافي وضوابط فكرية، ومعايير قيمية مسلكية، عندها تنجح هذه الحركة التكاملية في إيجاد أسرة مسلمة مستقرة آمنة مطمئنة في الاجتماع والاقتصاد والتثقيف والتربية وسائر ما يخصها.

٧ ـ التقاء الزوجين يُمثّل سكنًا للنفس، وأنسًا للروح، واستقراراً للأطفال، فينشأ الجيل يحمل أمانة الحياة بطهر ونظافة.

أمّا خصوم الأسرة المسلمة، وأعداء الطفولة، فيسعون بكلّ جهدهم لجعل الزواج نزوة عابرة، ولذّة عارضة، وتحويل المرأة عن المهمة المقدّسة، وجَعْلها عارضةً للأنوثة والفتنة، تابعةً لخطوات الشيطان، فالإسلام يحثُّ على النكاح، والخصوم يريدون التفلُّت من النظام، والبعد عن الفطرة، وإغراق الرجل والمرأة في أتون الشهوة، واقتحام لجج الفواحش.

٨ ـ الأسرة المسلمة تُمثّل وحدةَ المجتمع، ونظامه الذي يقوم عليه، ومن التحديات التي تواجه الأسرة المسلمة من قبل أعدائها؛ أنّهم يريدون غزوَ الفكر لتغيير التصور، وبالتالي يبتعد المرءُ عن مبادئ دينه، وتتزعزع العقيدة في قلبه.

ومن ذلك الغزو الفكري: عَقْد المؤتمرات التي تطمح لتحقيق غاية دنيئة؛ تُعطي المرأة مفتاح الهروب من الالتزام، واللجوء إلى أحضان الانحطاط والسَّفاهة والاضمحلال، كذلك عمل أولئك الغزاةُ على إلقاء بذور الشك والفتنة في نفوس الناشئة، والمرأة؛ لإفساد العقيدة، ونَشْر الريب، والتَّحلل من الالتزامات الأسرية، إلى جانب التجارة بالفن، وإشاعة الأدب الماجن، وبثّ الأفكار الضالة، وإغراق الجميع بالنزوات والشهوات.

وكانت حركةُ تحرير المرأة، والشبهات المثارة حول الطلاق، وتعدُّد الزوجات، تشكِّك الناس في أمر دينهم، وتعزفُ نَغْمةَ النَّشاز في دروب الحياة.

كما أنَّ خصومَ المرأة نادوا بتحطيم نظام الأسرة المسلمة، وجعلوا المرأةَ تنادي بحقوق تنافي تعاليم الإسلام، وما ذلك إلا تحطيمًا للحقِّ، وإبعادًا للمرأة المسلمة عن الغاية من وجودها، وتهديم المحضن الفطري للتربية السليمة لأولئك الأطفال؛ الذين يزعجهم خروجُ المرأة من بيتها، فعانوا مرارة القلق، وعنف الإحباط، والتوتر النفسي، وبالتالي بلغ خصومُ الأسرة المسلمة مآربهم، وحقَّقوا بعضًا من مرامهم.

٩ ـ إنَّ العلاقات الأسرية تقومُ على مسألة الحق والواجب، وضرورة كون الأحكام ترتكز على العدالة في التعامل والمعاشرة، فالعلاقات في الأسرة وسيلة للتطهر الروحي، والنظافة الشعورية، وهذا يكفلُ الاستقرار والاستمرار، ما دام الجميعُ يُحلِّقون في مقام طاعة الله تعالى.

وها هي الحضارةُ الغربية تشهدُ تفكُّكَ الأسرة لبعدها عن الدين

الصحيح، فأصبحت العلاقاتُ الأسرية مجردَ عقودٍ مدنية، الهدفُ منها تحقيق المتعة، ونيل المنفعة.

١٠ ـ للأسرة المسلمة رسالة تربوية رائدة، ففي ظل العلاقة المحترمة والمحبة والمودة بين الرجل والمرأة يتلقى الطفلُ مشاعر الخير، ودروس التوحيد، ويُغرس فيه زَرْعُ الإيمان، ومن هنا نؤكِّد على دور الوالدين في تربية أبنائهما التربية السليمة، وتحمُّل متاعب الطفولة؛ حتى يشب الأبناء عن الطوق، ويأخذوا دورهم في صُنْع المستقبل الرَّغيد.

وختامًا، أسألُ اللهَ عز وجل أن ينفعَ بهذا البحث، راجيًا دعوة ممن يقرؤه، ففي ذلك الكفاء والغَناء، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

* * *

* *

*

فهرس المحتويات

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمة	أ
تعريفات لابد منها	٣
الفصل الأول: المبحث الأول:	
أهمية الأسرة وقيمتها في المجتمع	٥
نظام الأسرة في الإسلام يتمتع بخصال خاصة	٨
الزواج عبادة في الإسلام	١١
الأولاد نعمة تستحق الشكر العظيم	١٤
عناية الإسلام بالأسرة من خلال عدة نقاط	١٨
المبحث الثاني:	
الحياة الزوجية حقوق وواجبات	٢١
أولاً: حقوق الزوجة: الرفق والملاطفة	٢٢
أهمية التزين للمرأة	٢٤
معاشرة الزوجة بالمعروف	٢٧
صيانة المرأة والغيرة عليها	٣٢
جماع المرأة	٣٣
ثانيًا: حقوق الزوج: الطاعة	٣٩
وجوب حفظ مال الزوج	٤٢

الموضـــــوع	الصفحة
تصدق المرأة من مالها على زوجها والصبر عليه إن كان فقيراً	٤٣
عدم إدخال من يكرهه الزوج إلى المنزل	٤٤
رعاية المرأة أمور زوجها وخدمته وتدبير منزله	٤٦
التزين والظهور بمظهر حسن	٤٨
كيفية تأديب الزوجة عند عصيانها زوجها	٥١
المبحث الثالث:	
الدور الحضاري للأسرة المسلمة في بناء الفرد وحياة المجتمع	٥٧
الأساليب التربوية في الإسلام	٦٣
التربية بالقدوة	٦٤
التربية بالموعظة	٦٧
التربية بالعقوبة	٦٩
التربية بالقصة	٧٠
الفصل الثاني: المبحث الأول:	
الأسرة المسلمة ومواجهة التحديات العقدية والفكرية	٧٣
المطلب الأول: أهمية التوحيد وحفظ جنابه في مواجهة التحديات العقدية والفكرية	٧٣
للتوحيد خصائص على سائر العلوم لابد للأسرة المسلمة استشعارها	٧٥
فضائل التمسك بالتوحيد والإهتمام بذلك	٧٦
المطلب الثاني: العولمة وتحدياتها على الأسرة المسلمة	٧٧

الموضـــــوع	الصفحة
المطلب الثالث: الغزو الفكري وتحدياته على الأسرة المسلمة	٨١
الغزو الفكري للمرأة المسلمة وخطورة ذلك	٨٥
سرد تاريخي لقضية تحرير المرأة	٨٦
تحليل مهم لشخصية قاسم أمين صاحب كتاب تحرير المرأة	٨٩
الفصل الثالث: المبحث الأول	
الأسرة المسلمة ومواجهة تحدي الخلافات الزوجية	٩٥
عدم إدراك كل من الزوجين لدورهما	٩٦
لا يوجد هناك منهجية في تربية الأبناء	٩٧
خطورة الغضب وفداحته	٩٨
إرهاق كل من الزوجين الآخر بأكثر مما يستطيع	٩٩
المبحث الثاني	
التحديات الإجتماعية التي تواجه الأسرة المسلمة	١٠١
الأسرة المسلمة وتحدي التطور التكنولوجي	١٠١
آثار التطور التكنولوجي على الأسرة المسلمة	١٠٢
أفكار لتجنب الآثار السلبية قدر المستطاع	١٠٥
المطلب الثاني: الأسرة المسلمة وتحدي تغيير القيم الدينية	١٠٦
لماذا يرفضون الأولاد؟	١٠٨
الصراع.... ومفهوم الجمال	١١٠
خطورة تغيير المصطلحات الأسرية	١١٢
الأستنساخ	١١٣

الموضـــــوع	الصفحة

جدول تغيير القيم الدينية ١١٤

المبحث الثالث

الأسرة المسلمة ومواجهة تحدي الواقع المعيشي ١١٧

المبحث الرابع

الأسرة المسلمة ومواجهة التحدي الإعلامي ١١٩

الأمبريالية الإلكترونية ١٢٢

التبعية الإعلامية والبرامج المستوردة ١٢٢

القوة التأثيرية لوسائل الإعلام ١٢٤

فساد وسائل الإعلام ودورها في إشاعة الإنحلال الخُلُقي ١٢٥

مسؤوليات الأسرة المسلمة ووسائل الإعلام ١٢٨

كيف نقف أمام هذه التحديات وهو مهم جداً ١٢٩

فهرس المحتويات ١٣٥

مطابع الحميضي